أحمـــــــد الهرمزي

2025

الإهداء

إلى الأرواح التي صعدت دون وداع،
إلى من حملوا أحلامهم في قلوبهم، وسقطوا في صمت

إلى الأبرياء...
الذين لم يكونوا طرفًا في صراع،
ولا صوتًا في معركة،
لكنهم دفعوا الثمن الكامل

إليكم...
أهدي هذا الكتاب
علّه يكون شهادة لا تُنسى
وصوتًا يبقى، حين يصمت الآخرون

لكم السلام... ولو تأخر

الفهرست

العناوين الرئيسية

الواقع بين الاحلام والحقائق

تجربة الشتاء الطويل

تكوين الهوية في المجتمع الجديد

رحلة نحو الشمال: من مغادرة الوطن إلى الاستقرار في السويد

لماذا السويد؟

الحقيقة أم التجميل؟

الهجرة: بين الحلم والواقع

بين الحنين والتكيف: خطوات في دروب الغربة

رحلة الاعتراف: صراع الأمل والإصرار في أرضٍ جديدة

اللغة من العائق إلى الأداة

الولوج إلى سوق العمل في السويد

بين التطرف والإسلاموفوبيا: مأزق الهوية في أوروبا

صرامة القوانين وتعقّد المسارات : البيروقراطية

التشكيك والمصداقية

بين الحيلة والنجاة: محاولات المهاجر الغش في النظام السويدي

المرأة المهاجرة: بين الاستقلال والضغوط الثقافية في السويد

الحجاب... بين الهوية والوصمة

العلاقات العاطفية والزواج في المهجر: حب تحت سقف ثقافتين

المجتمع المدني والمشاركة السياسية للمهاجرين في السويد

المهاجرون في الإعلام السويدي

لماذا البقاء في السويد: قرار لا يولد من الرفاهية

الثقافة أم الهوية: من يملك تعريف "السويدية"؟

تجارب اجتماعية

حقائق و أرقام

الخاتمة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمولف

ahmed fekri@

لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام استرجاع أو نقله بأي شكل أو بأي وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الضوئي أو التسجيل أو بأي طريقة أخرى، دون إذن خطي مسبق من المؤلف

الطبعة الاولى 2025

ترجمة أسم الكتاب باللغة السويدية

Att leva i frostens land ... En upplevelse från verklighetens hjärta

للتواصل أو الاستفسار

baadalsaqie@gmail.com

ISBN: 978-91-531-4554-7

تمهيد

المرء الذي نشأ في بلد مشمس ودافئ، حيث الحرّ والشمس هما السائدان، لم يكن يعرف عن البلدان الباردة سوى ما يسمعه أو يراه في وسائل الإعلام المتاحة آنذاك. ففي سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، كانت مصادر المعلومات محدودة، تقتصر على التلفاز والراديو وبعض الكتب المترجمة. كنا نسمع عن بلدان الشمال الأوروبي وخصوصًا السويد، من خلال روايات الكاتبة أستريد ليندغرين، وأفلام المخرج إنغمار بيرغمان والموسيقى الشهيرة لفرقة «أبا» والسيارات الفاخرة التي تصنعها شركة «فولفو» وجائزة نوبل، كما انتشرت آنذاك أساطير وخرافات، من بينها الاعتقاد بأن العلاقات الاجتماعية في السويد سهلة ومباشرة إلى حد أنه يمكنك التعرف على امرأة سويدية وخلال ساعات تجدها بين أحضانك. هذه الصورة كانت سائدة في السبعينيات والثمانينيات وحتى التسعينيات من القرن الماضي

كل هذه الأحكام المسبقة أو التصورات العامة، التي كانت مترسخة في أذهان أبناء الشرق الأوسط سرعان ما اصطدم جزء منها بالواقع، عندما بدأ المهاجرون بالوصول إلى هذا البلد بكثافة في أواخر تسعينيات القرن الماضي وبداية الألفية الجديدة. فلم يجدوا الكثير مما كانوا يتصورونه، باستثناء بعض المظاهر المادية، كوجود سيارات «فولفو» ، احتفالية نوبل ،انتشار الكتب والأفلام والموسيقى السويدية، والمساعدات الاقتصادية المقدمة للعوائل والأطفال، أما ما عدا ذلك، فكان أقرب إلى الخيال.

ماذا نعرف نحن في الشرق الأوسط والعالم عن حقيقة السويد؟ وعن العيش في السويد كمهاجر، سواء كان لاجئًا أو عاملًا أو قادمًا جديدًا، مهما كانت الأسباب؟

فعندما تقول: (أنا أعيش في لندن، برلين، باريس، أو روما) فإن وقع هذه المدن مدوٍّ وله جاذبية خاصة، بالمقابل حين تقول: (أنا أعيش في ستوكهولم، كوبنهاغن، أو أوسلو)، لا يُقابل ذلك بنفس الاهتمام، لماذا؟ هل هو نقص في المعرفة؟ أم تجاهل متعمَّد؟ كثيرًا ما

نسمع في الأخبار عن العواصم الأوروبية الكبرى، ولكن نادرًا ما نسمع عن عواصم بلدان الشمال، إلا إذا كانت الأحداث مثيرة للغاية.

هذا الكتاب: تجربة من قلب الواقع – هل كان الحلم يستحق العناء؟

بعد سنوات من العيش في بلد البرد والصقيع، يطرح المهاجر سؤالًا جوهريًا: هل كان الحلم يستحق العناء؟ هل كانت الرحلة إلى هذا البلد البعيد قرارًا صائبًا؟ كيف يعيش المهاجر في السويد؟ وكيف ينظر إليه المجتمع السويدي، وخصوصًا إن كان من أصول شرق أوسطية؟ فهذا الكتاب ليس عن السويد بوصفها حلمًا، بل عن السويد كما هي في الواقع.

نحن هنا لا نهدف إلى كشف حقائق مدهشة أو أسرار غامضة، كما أننا لا نسعى لمنافسة سيل المحتوى الرقمي الذي يغمر الإنترنت يوميًا بصور وردية وحكايات مثالية عن الحياة في هذا البلد الشمالي، بل على العكس تمامًا، الهدف هو إعادة التوازن في السرد، وتقديم رواية مغايرة أكثر تواضعًا، لكنها أكثر واقعية وصدقًا، عن تجربة الهجرة والعيش في بلد الصقيع.

الكاتب هنا ليس صحفيًا مشهورًا ولا مؤثرًا على وسائل التواصل، ولا نجمًا تلفزيونيًا تُسلَّط عليه الأضواء، إنه شخص هاوٍ، يكتب بأصبع واحد أو أصبعين، في وقت فراغه، وربما على طاولة صغيرة في مطبخ متواضع، داخل بيت بسيط في إحدى المدن السويدية، لكنه رغم بساطة أدواته، يحمل في داخله رغبة صادقة في نقل تجربة شخصية، فيها الصعب كما فيها الجميل، وفيها الألم كما فيها الأمل.

من الصعب إيصال هذه الرسالة في زمن التواصل السريع، حيث تُختزل التجارب في 30 ثانية، وتُفضّل القصص اللامعة على الحقائق المعقّدة. الكاتب لا يملك منصة إعلامية ضخمة، ولا فريق تحرير، ولا صورًا احترافية، لكنه يملك شيئًا واحدًا(الصدق)هذا الصدق لا يُنشر على (إنستغرام) بل يُكتب في السطور، ويُلمس في التفاصيل، ويُقرأ بين الكلمات

أحيانًا، نشعر وكأننا نصرخ في الفراغ، وأن الكلمات لن تصل إلى من يحتاجها حقًا، لأن خوارزميات الإنترنت لا تُروّج للصدق، بل للسرعة والإثارة، ومع ذلك، نواصل الكتابة، لأن التجربة تستحق أن تُروى ولأن هناك دائمًا من سيقرأ ويتأمل ويفكّر

هذا الكتاب لا يُقدّم الحياة كجحيم ولا كجنة، بل كواقع مركّب، يحمل الخير والتحديات معًا. إنه صوت صغير وسط ضجيج عارم، لكنه صوت حقيقي، نابع من القلب، ويأمل أن يصل إلى قلب كل من فكّر يومًا في الرحيل، أو وجد نفسه في وطن جديد، يحاول أن يفهمه، ويفهم نفسه فيه

لا نهدف في هذا الكتاب إلى إقناعك بالبقاء أو الرحيل، بل إلى أن تمضي في طريقك بوعيٍ أكبر، ونظرةٍ أعمق، بعيدًا عن الصور المفلترة التي تصنعها الشاشات، وقريبًا من التجربة الحقيقية التي يعيشها الناس العاديون كل يوم.

أحمد الهرمزي

ستولكهوم – المملكة السويدية

الواقع بين الاحلام والحقائق

حين تطأ قدماك أرض السويد، تلاحظ بسرعة ذلك الهدوء السائد ،النظام ،النظافة والوجوه الهادئة التي تتقن فن الابتسام، ابتسامات تُوزَّع في الشوارع، في محطات القطار، في المكاتب، وحتى داخل المصاعد الضيقة! إنها ابتسامة "الترحيب"، أو ما يظنه البعض كذلك، لكن شيئًا ما في أعماق تلك الوجوه يثير التساؤل: هل هذه الابتسامة حقيقية؟ هل تحمل معاني القبول والانفتاح؟ أم أنها جزء من تدريب اجتماعي صارم، تعلمه السويدي منذ الطفولة؟

يتصوّر المهاجر أن بلد الصقيع الذي طالما حلم بالعيش فيه، يستقبل المهاجرين وطالبي اللجوء بأحضان دافئة ويحتفي بهم بالورود، يخفف عنهم مآسيهم النفسية والاقتصادية، يوفر لهم سبل العيش الكريم منذ لحظة وصولهم، يعتقد أن الدولة ستتكفل به، توفر له فرصًا دراسية واسعة، بما في ذلك تعلم اللغة السويدية بسهولة، مما يمكّنه من الاندماج السريع في المجتمع، وبناء حياة مستقرة له ولعائلته، كما يتصور أن بإمكانه الحصول على شهادات تؤهله للوظائف المناسبة، تضمن له مستقبلًا آمنًا بعيدًا عن النزاعات والحروب. هذه الصورة التي كانت سائدة في مجتمعاتنا خلال السبعينات والثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

لكن الواقع كان مختلفًا قليلًا ،لم يكن كل شيء بهذه السهولة، لم تكن الحياة في السويد مجرد حلم وردي كما يتصوره الكثيرون، فالمجتمع السويدي، رغم رفاهيته، يتميز بنظام اجتماعي وقانوني صارم، يطلب من المهاجرين الجدد التكيّف مع ثقافة تختلف جذريًا عن تلك التي اعتادوا عليها، لم يكن الاندماج مجرد قرار، بل رحلة طويلة تتطلب جهدًا، وصبرًا، وتحديات عديدة.

الصدمة الثقافية والتحديات الاجتماعية

كانت الصدمة الثقافية من أولى العقبات التي واجهها المهاجرون الجدد، فالسويد مجتمع يعتمد بشكل كبير على الاستقلالية الفردية، حيث يُتوقع من كل شخص أن يكون مسؤولًا عن نفسه وأن يعتمد على ذاته، وهذا يتناقض مع القيم السائدة في مجتمعاتنا الشرق أوسطية بمختلف أعراقها وأديانها، التي ترتكز على الروابط العائلية والقبلية، حيث يُعتبر الفرد جزءًا من كيان اجتماعي أكبر.

كان على المهاجرين أن يتعلموا كيف يديرون أمورهم بأنفسهم، من التعامل مع الجهات الحكومية، إلى إيجاد فرص العمل، وحتى أساليب التواصل الاجتماعي، فالسويديون يميلون إلى التحفظ ويفضّلون العلاقات الرسمية إلى أن تُبنى الثقة، وهذا يتناقض مع الطابع الاجتماعي المنفتح الذي اعتاد عليه المهاجر.

وجد الكثير من القادمين الجدد صعوبة في الحصول على عمل يوفّر الرفاهية، فالحصول على وظيفة ليس أمرًا تلقائيًا بمجرد تعلم اللغة بل يتطلب الأمر سنوات من الدراسة والتأهيل وإثبات الكفاءة في سوق العمل السويدي المعروف بمتطلباته الدقيقة ومعاييره العالية.

تجربة الشتاء الطويل

من أكثر التحديات التي لم نكن مستعدين لها عند الانتقال إلى السويد هو طبيعة المناخ القاسية حيث يمتد الشتاء لفترات طويلة ويكون البرد قارسًا والنهار قصيرًا للغاية. وفي المناطق الشمالية قد تغيب الشمس لساعات طويلة، هذا التغير الجذري في المناخ أثّر بشكل كبير على الحالة النفسية للمهاجر الذي اعتاد على دفء بلاده الأصلية وشمسها المستمرة

لم يكن من السهل التأقلم مع هذه الظروف الجديدة، في البداية، شعر المهاجر بالإرهاق وقلة النشاط، لكنه أدرك تدريجيًا أهمية اتخاذ تدابير تساعده على التكيّف حيث بدأ بتعلم

كيفية ارتداء الملابس المناسبة للحفاظ على الدفءواستخدم مصابيح العلاج الضوئي للتخفيف من أعراض الاكتئاب الشتوي ، كما مارس أنشطة تُعزز الطاقة، مثل المشي في الطبيعة خلال ساعات النهار القليلة مما ساعده على التغلّب على صعوبات الشتاء بالإضافة إلى ذلك، وجد أن ممارسة الرياضة بانتظام لها تأثير إيجابي كبير على النفسية والنشاط. بدأ يهتم أكثر بنظامه الغذائي، مركّزًا على الأطعمة الغنية بفيتامين (د) لتعويض نقص أشعة الشمس، حاول أيضًا الاستمتاع بالمناسبات الشتوية مثل التزلج وزيارة الأسواق الموسمية، ومع الوقت، بدأ يرى في الشتاء جمالًا وهدوءًا فريدًا

رغم ذلك، يظل الجو أحد أكبر التحديات التي تواجه المهاجر الجديد في السويد، إذ يتطلب الأمر الكثير من الصبر والمرونة، للتكيّف مع متغيّرات طبيعية لم يكن معتادًا عليها من قبل

يقول ألبرت كامو في روايته (الغريب)

في أعماق الشتاء، كنت أكتشف أن في داخلي صيفًا لا يُقهر

وهذا هو المهاجر في السويد

رغم الجليد، يحمل صيفه الخاص

رغم الغربة، يحتفظ ببقايا دفء

رغم الاختلاف، لا يتخلى عن ذاته

تكوين الهوية في المجتمع الجديد

بالرغم من هذه التحديات المناخية، فإن الكثيرين تمكنوا من بناء حياة جديدة في هذا البلد، لكن السؤال الذي واجه الكثير منا كان: كيف نحافظ على هويتنا دون أن نصطدم بثقافة المجتمع الجديد؟

كان على كل فرد أن يجد طريقه الخاص في تحقيق التوازن بين الاحتفاظ بعاداته وتقاليده، وبين الاندماج في المجتمع السويدي دون عزلة أو انعزال. فهناك من تمسك بتقاليده بشكل صارم مما صعّب عليه عملية الاندماج، وهناك من انخرط بشكل كامل في المجتمع الجديد حتى فقد هويته الأصلية تمامًا.

لكن هناك أيضًا من استطاع التكيف بحكمة؛ حيث تمكن من الحفاظ على لغته الأم وعاداته، وفي الوقت ذاته، تعلم القيم السويدية مثل احترام القوانين والاستقلالية والعمل الجاد. هذا التوازن لم يكن مهمًا للأفراد فقط، بل كان ضروريًا أيضًا للأجيال القادمة التي ستحمل مزيجًا من الثقافتين، فبفضل المرونة والتفاهم المتبادل، تمكن الكثيرون من بناء جسور ثقافية تسهم في تعزيز التنوع والتعايش السلمي بين مختلف الخلفيات الاجتماعية والثقافية.

الأجيال الجديدة: بين ثقافتين

بالنسبة للأجيال الجديدة التي وُلدت أو نشأت في السويد، كان التحدي مختلفًا، فقد وجدوا أنفسهم بين ثقافتين: ثقافة الأهل التي تحاول الحفاظ على تقاليدها وثقافة المجتمع السويدي التي تشجع على التحرر والاستقلالية

في كثير من الأحيان، كانت هناك فجوة بين الأهل وأبنائهم، حيث واجه البعض صعوبة في فهم تطلعات الجيل الجديد الذي يريد أن يعيش وفق معايير المجتمع السويدي، بينما يسعى الأهل إلى الحفاظ على القيم والتقاليد القديمة. نشأت صراعات أسرية، وأحيانًا حالات تمرد، حيث شعر الأبناء بأنهم عالقون بين عالمين مختلفين

الاختلاف في الثقافات، وتحدي إيجاد توازن بين الثقافة العائلية وثقافة البلد الجديد، أدى للأسف إلى بعض حالات العنف الأسري ضد الأطفال والمراهقين أو حتى البالغين. هذه الحالات، التي ظهرت نتيجة صدام القيم والتقاليد، سلط الإعلام السويدي عليها أضواء مكثفة، مما ساهم في نشر صور سلبية ومبالغ فيها حول مفهوم الهجرة، وزاد من المخاوف بشأن اندماج المهاجرين في المجتمع، ونتيجة لذلك، أصبحت بعض نواحي الحياة أكثر تشددًا، سواء في السياسات الحكومية أو في تعامل المؤسسات مع الأسر المهاجرة. التخوف المجتمعي في بعض الحالات قد يكون مبررًا، لكنها في المجمل تبقى حالات فردية لا تعكس الصورة الكاملة

الوطنية في الغربة: بين الذاكرة والانتماء

الوطنية في الغربة لا تعني ذلك الشغف الرومانسي المجرد بالوطن، كما قد يفهمها أولئك الذين يعيشون في أوطانهم بترف واستقرار، في الغربة، تتحول الوطنية إلى شيء أبسط وأعمق في آنٍ واحد؛ تصبح فعلًا يوميًا صغيرًا، وتفصيلًا في السلوك والمظهر، ونبضًا خافتًا يذكّرك بانتمائك الأصلي دون أن تصرخ به

في بلاد المهجر، وخصوصًا في مجتمعات كالمجتمع السويدي، لا يُنظر إلى المهاجر، مهما طال به الزمن، كمواطن أصلي متجذر، فحتى وإن كانت النظرة مهذبة ومحكومة بالقانون، فإنها ترى في المهاجر (الآخر) أو (الاستثناء) أو (الضيف طويل الأمد)، الذي عليه أن يثبت دائمًا حسن نيته واستحقاقه للثقة ، الوطنية في الغربة هي أن تتكلم السويدية بلكنتك العربية أو الكردية أو التركية أو الصومالية دون خجل، بل بفخر، لأنها تمثل شهادة على رحلة كفاح طويلة، هي أن ترتدي قلادة تحمل خريطة وطنك أو علمه الصغير، لا لتتحدى، بل لتتذكر. هي أن تحتفل بعاداتك مع جيرانك الجدد، لا لترفض ما حولك، بل لتكون صادقًا مع نفسك ومع الآخرين

المشكلة لا تكمن في المهاجر ذاته، بل في الصورة النمطية التي تُرسم له، فالمجتمع حتى وهو منفتح، قد يرى في المهاجر شخصًا غير متجذر، قابلاً للخطأ، بل ومتوقعًا منه الخطأ ، ولذلك، يشعر الكثير من المهاجرين أنهم مطالبون بأن يكونوا مثاليين دائمًا، كي لا يُنظر إليهم كمشكلة.

ومن هنا، تتجلى الوطنية – أو ما يمكن أن نطلق عليه (الولاء المركّب) – لدى المهاجر. في الغربة، تصبح التفاصيل الصغيرة ذات معنى كبير. الجيل الأول يرى في سلوك أبنائه وانضباطهم شكلًا من أشكال الانتماء، ويحاول حماية هويتهم من الذوبان.

لكن هذه المعايير ليست قوانين ثابتة، بل نتاج مشاعر مختلطة وسياقات مركبة، بين رغبة في الحفاظ على الهوية وخوف من الرفض المجتمعي، إنها وطنية معقّدة، تحمل في طياتها توترًا ومساءلة مستمرة. الجيل الثاني من المهاجرين يعيش هذا الصراع بشكل مضاعف، فهو لا يفهم دائمًا سبب تمسك الأهل ببعض التقاليد، لكنه لا يدرك أن هذه التفاصيل هي صمامات أمان تمنح الأهل شعورًا بالكرامة والانتماء في مجتمع قد لا يراهم يومًا كأبناء له، حتى وإن حملوا جواز السفر السويدي.

في نهاية المطاف، الوطنية في الغربة ليست نشيدًا يُردّد، ولا علمًا يُرفع فقط في المناسبات. إنها ممارسة يومية، تتجلى في العلاقات، في اللغة، في اللباس وفي اختيار طريقة العيش. ولعل أجمل أشكالها هي تلك التي تهمس بها الأم لطفلها قبل النوم: (لا تنسَ من أين جئنا... لكن كن محترمًا هنا، وذكيًا، ومجتهدًا... لأنك تمثلنا)، تلك الجملة تختصر ما تعنيه الوطنية في المنفى

رحلة نحو الشمال: من مغادرة الوطن إلى الاستقرار في السويد

وداع الوطن ومواجهة المجهول

غالبًا ما تكون الخطوة الأولى نحو مغادرة الوطن مزيجًا متناقضًا من المشاعر، بين الخوف والقلق من المجهول، وبين الفرح المصحوب بشيء من التحرر من القيود، تتشكل لحظة الرحيل في وجدان المهاجر. هناك من يودع أرضه وبيئته وأهله طوعًا، بحثًا عن فرصة أفضل، وهناك من يفرّ قسرًا هربًا من بطش أو خطر. في الحالتين، تتلاشى الأحلام شيئًا فشيئًا أمام واقع لا يشبه الصور المرسومة في الخيال.

هذا التناقض العاطفي، بين القلق من المستقبل وحماسة البداية الجديدة، يخلق حالة من عدم اليقين. إلا أن هذه المشاعر تبدأ تدريجيًا في التراجع حين ينخرط المهاجر في تعلّم اللغة، وتكوين علاقات أولية، والتعرف على ملامح المجتمع الجديد الذي سيشكل جزءًا من حياته القادمة.

حكايات الوصول إلى السويد

لكل مهاجر قصته الخاصة في الوصول إلى السويد. قصص تختلف في التفاصيل لكنها تتشابه في العمق الإنساني، وفيها من الألم والشجاعة ما يجعلها صالحة لتكون سيناريو فيلم درامي أو فصول كتاب يؤرخ مرحلة استثنائية من حياة الإنسان.

تتعدد طرق الوصول إلى السويد باختلاف القدرات المادية والظروف المحيطة. فمنهم من وصل على متن طائرة بجواز سفر وتأشيرة، وآخرون عبروا الحدود برًا في شاحنات أو سيارات، أو حتى على متن بواخر، أما الفئة الأضعف، فكانت مضطرة للجوء إلى طرق غير نظامية محفوفة بالمخاطر، حيث يقعون أحيانًا ضحايا لشبكات تهريب البشر التي تستغل معاناة الناس لتحقيق أرباح طائلة ،ولم تكن هذه الممارسات حكرًا على العصابات المنظمة، بل شملت في بعض الحالات موظفين رسميين، من ضمنهم عاملون في سفارات أوروبية، تورطوا في بيع تأشيرات بأسعار خيالية لطالبي اللجوء.

وفي الجانب الآخر من المعادلة، تبنّت بعض الدول، منها السويد، سياسات هجرة نشطة تهدف إلى جذب الكفاءات لتعويض النقص في سوق العمل. هذا التوجه فتح الأبواب أمام نوع جديد من الهجرة، حيث تداخلت الهجرة الشرعية وغير الشرعية، واختلطت فيها المصالح الإنسانية بالسياسات الاقتصادية

رحلة محفوفة بالتحديات

الرحلة إلى السويد ليست مجرد انتقال جغرافي، بل انتقال نفسي واجتماعي وجسدي. كثير من المهاجرين اضطروا لترك كل ما هو مألوف، ليبدأوا من جديد في أرض غريبة، لغةً وثقافةً ومناخًا ،فمن يملك المال يسافر جوًا، لكنه رغم ذلك لا ينجو من التوتر والإجراءات المعقدة. أما من لا يملك إلا إرادته، فيسلك طرقًا طويلة عبر الصحارى والجبال والبحار، يحمل فيها حياته على كفّيه. كم من قصص الغرق سمعنا عنها في البحر الأبيض المتوسط؟ كم من العائلات فُقدت في الغابات أو على الحدود؟

في إحدى القصص، شاب في العشرين من عمره ركب قاربًا مطاطيًا مع عشرات اللاجئين، وظل أيّامًا في عرض البحر بلا طعام كافٍ أو مياه صالحة للشرب. وفي قصة أخرى، استغرقت فتاة سنة كاملة للوصول إلى السويد، عملت خلالها بشكل غير قانوني في عدة دول أوروبية لتتمكن من مواصلة رحلتها. أما أحد اللاجئين، فنجا من كمين نصبته قوات أمنية في بلده، لكنه فقد أحد أفراد أسرته، فعاش صدمة نفسية لازمته حتى بعد وصوله إلى السويد واستقراره فيها.

لماذا السويد؟

قد لا تكون السويد الخيار الأول بالنسبة للكثير من المهاجرين، لكنّها كثيرًا ما تحوّلت إلى الخيار المتاح، بل والوحيد، في ظل عالم يمتلئ بالحروب والقمع والانهيارات الاقتصادية. منذ بداية الألفية الجديدة، أغلقت دول أوروبية كثيرة أبوابها أو شددت شروط الإقامة، بينما حافظت السويد على نهج إنساني نسبي لعدد اسباب منها الحاجة الى طاقة عاملة شابة .

عرفت السويد كدولة تحترم حقوق الإنسان، لم يكن ذلك مجرد شعار، بل نابع من ثقافة سياسية واجتماعية عريقة، تقوم على مبادئ العدالة، المساواة، والحرية الفردية. هذا ما جعل السويد محطة أمل، خاصة لأولئك الذين لم يعودوا يشعرون بالأمان أو بالكرامة في بلدانهم.

لكن لا شيء في طريق الهجرة مضمون أو سهل. فرغم ما توفره السويد من نظام رعاية متطور، وتعليم مجاني، ورعاية صحية ممتازة، لم تكن البلاد مهيأة بالكامل للتعامل مع هذا التدفق البشري الكبير ولم تكن الصورة الواقعية وردية تماما، ومع الوقت، بدأت التساؤلات تتزايد داخل المجتمع السويدي: هل يمكننا الاستمرار في استقبال المزيد؟ وهل المهاجرون يندمجون فعلاً؟ وهل الدولة قادرة على استيعاب هذا التنوع الثقافي والديني المتسارع؟ ولكن شي لا بد من ذكرة ان ما يميز تجربة السويد بالنسبة لكثير من المهاجرين هو أنهم، عند وصولهم، شعروا بأنهم يُعاملون كبشر.

بمجرد أن يضع المهاجر قدميه على أرض السويد، يبدأ في التفكير في الخطوة التالية، تسوية وضعه القانوني. تتعدد الخيارات المتاحة، مثل التقديم على الإقامة أو طلب اللجوء السياسي أو الإنساني، تبعًا للظروف التي دفعته إلى الهجرة. غير أن هذه المرحلة تُعد من أكثر الفترات صعوبة، إذ يعيش المهاجر حالة من القلق والترقّب بانتظار البت في طلبه، مما يؤثر بشكل مباشر على وضعه النفسي ويضعه تحت ضغط هائل.

لا يقتصر التوتر في هذه المرحلة على مدة الانتظار فحسب، بل يمتد إلى مدى قدرة المهاجر على تقديم ملف قوي يدعم طلبه. في بعض الحالات، يجد المهاجر نفسه مضطرًا إلى تقديم وثائق أو شهادات غير صادرة من وطنه الأصلي، إما لصعوبة استخراجها، أو لأن السلطات هناك تمتنع عن منحها لأسباب سياسية أو إدارية. ورغم أن مضمونها قد يكون صحيحًا، إلا أن بعض الجهات قد تعتبرها غير قانونية، مما يطرح تساؤلًا أخلاقيًا حول مفهوم (التزوير) في هذه الحالة.

الحقيقة أم التجميل؟

عند تقديم طلب اللجوء، يواجه المهاجر معضلة: هل قول الحقيقة يكفي لدعم طلبه، أم أنه مضطر إلى تغيير بعض التفاصيل أو المبالغة فيها للحصول على الإقامة؟ تتفاوت الإجابات وفقًا للخبرات والتجارب، لكن القاعدة العامة بين المهاجرين تقول: (كاذب من قال إنه لم يغيّر أو يضيف بعض التفاصيل عند تقديم طلبه)، رغم وجود استثناءات.

يتحدث بعض المهاجرين عن معضلة سرد القصة التي قد تُقنع السلطات بأحقيتهم في اللجوء حيث يُطلب منهم تقديم أدلة تدعم رواياتهم، سواء من خلال شهادات أو وثائق رسمية، وهو أمر قد لا يكون متاحًا للجميع. فهل يجب على الشخص أن يكون صادقًا مئة بالمئة، حتى لو أدى ذلك إلى رفض طلبه؟ أم أنه مضطر إلى تجميل بعض الحقائق لضمان الحصول على حماية قانونية؟

هناك من يرى أن التجميل أمرٌ ضروري، نظرًا لأن السلطات لا تتعامل مع جميع الحالات بالمثل وانماتعتمد قراراتها على عوامل متغيرة مثل الأوضاع السياسية والعلاقات الدبلوماسية بين الدول، فمثلًا، بعض الدول التي تمر بأزمات معروفة ومستمرة، قد يحصل مواطنوها على قرارات أسرع مقارنة بدول أخرى حيث الأوضاع معقدة ولكن غير معترف بها رسميًا كأماكن غير آمنة.

وبالرغم من ذلك، فإن المبالغة قد تكون سلاحًا ذا حدين، إذ يمكن أن تؤدي إلى فقدان المصداقية إذا اكتشفت السلطات تناقضات في القصة، مما يؤدي إلى رفض الطلب. لذلك، يضطر البعض إلى خلق نوع من التوازن بين الحقيقة والتجميل، بحيث يبرزون المخاطر التي دفعتهم إلى الفرار، دون تقديم معلومات يمكن الطعن في صحتها.

تعتمد سلطات الهجرة على مقابلات دقيقة وتحقيقات مكثفة للكشف عن أي تناقضات في القصص المقدمة. وفي كثير من الأحيان، يتم رفض الطلبات بسبب وجود اختلافات بين ما يقوله اللاجئ في مقابلاته وبين ما هو مدوّن في طلبه الرسمي أو ما تذكره تقارير أخرى عنه. كما أن بعض الدول تمتلك قواعد بيانات ومعلومات استخباراتية تمكّنها من التحقق من بعض الادعاءات، مما يجعل من الصعب تمرير أي تزوير دون اكتشافه.

الهجرة: بين الحلم والواقع

رغم التحديات، لا يزال الأمل يرافق المهاجرين في رحلتهم نحو حياة جديدة. تبقى السويد، برغم الصعوبات، مقصدًا لأولئك الذين يبحثون عن مستقبل أفضل، ويظلون متمسكين بحلم النجاح رغم العقبات التي تواجههم. تختلف تجربة الهجرة من شخص لآخر، لكنها في النهاية جزء من قصة الإنسان في بحثه الدائم عن حياة كريمة ومستقبل أكثر أمانًا.

رحلة البحث عن الذات

كانت السماء في ذلك اليوم رمادية كحال باقي الأيام المظلمة التي تتميز بها السويد خصوصا في الأشهر الثلاثة الأخيرة من السنة، حيث نادرًا ما يُرى ضوء الشمس، فيصبح لون الأرض المعبدة بالإسفلت والمغطاة بالثلج أحيانًا، وفوقها رشات من الحصى التي تقي من الانزلاق، مشابهًا للون السماء التي تغطيها الغيوم بكثافة. كأن هذه السماء تعكس مشاعر الغريب الذي وقف في منتصف الشارع، ينظر إلى المارة وهم يمرون بجواره وكأنه غير مرئي. كان اسمه آدم، شاب في منتصف الثلاثينات، ترك وطنه بحثًا عن فرصة، عن حياة جديدة بعيدًا عن أرض أرهقته بأحلام مؤجلة وذكريات لم تعد تُطاق. لكنه لم يكن يعلم أن الغربة ليست مجرد مسافة تُقطع، بل شعور يلازمه أينما ذهب

كان يشعر بنفسه كما وصف دوستويفسكي: (الغربة الحقيقية هي أن تعيش في مجتمع لا يفهمك، حيث تصبح الوحدة قدرًا حتى وأنت محاط بالآخرين) وبينما كان يسير في الشوارع الواسعة، كانت العيون تلتقي بعينيه للحظة قبل أن تنصرف كأنها لم تره أو حتى تشعر بوجوده كإنسان. لم يكن مكروهًا، لكنه لم يكن مفهومًا أيضًا، شعور غريب لا يمكن ملاحظته إلا في بلدان الشمال، حيث لا تشبه نظرات الناس فيها النظرات في مجتمعاتنا (الشرقية) التي تمتاز بعدة أمور منها الفضول والتفحص ورغبة في معرفة الاخر أو حتى التأمل

عمل آدم في أحد المقاهي الصغيرة ليؤمن قوت يومه بعد أن عانى من صعوبة الحصول

على المساعدة للعاطلين عن العمل أو القادمين الجدد. فالبلديات أو دائرة الهجرة تقدم المساعدة للقادمين الجدد، لكن هناك إجراءات تختلف وفقًا لطبيعة قدوم الشخص إلى السويد، فإن كان قادمًا عن طريق برنامج حكومي أو إحدى وكالات الأمم المتحدة تكون الإجراءات أسهل، ولكن عندما يكون لاجئًا أو قادمًا بمفرده، تختلف الإجراءات وتتطلب تدقيقًا ووقتًا أطول. كان آدم يراقب الزبائن يدخلون ويخرجون، يضحكون ويتحدثون بلغتهم التي لم يتقنها بعد،، فيشعر بأنه كما قال كافكا (الغربة ليست أن تكون وحيدًا، بل أن تشعر أنك غير مفهوم، وكأنك تتحدث لغة لا يسمعها أحد) أن يصبح شخصًا على هامش العالم، لا ينتمي لهذا المكان الجديد ، كما انة يشعر بانة لم يعد ينتمي إلى وطنه الاصلي الذي تركة أيضًا.

كان الليل أسوأ أوقاته، حيث يعود إلى شقته الصغيرة ذات الجدران البيضاء الخالية من أي لمسة شخصية، والتي يشاركها مع مجموعة أخرى من القادمين الجدد. لكنه كان محظوظًا بأن لديه غرفة نوم خاصة يدفع ثمنها من مرتبه في المقهى. لم يكن فيها سوى سرير وطاولة خشبية قديمة. يفتح النافذة علَّه يجد شيئًا مألوفًا في الأفق، لكنه لا يجد سوى أضواء المدينة التي تلمع بلا روح. فأغلب المدن السويدية في أشهر البرد القارس، وهي الأشهر الستة من السنة التي تبدأ من شهر أكتوبر حتى نهاية مارس، تكون الشوارع فيها فارغة تقريبًا بعد الساعة الثامنة مساءً. كان يشعر كما قال توماس مان (الغريب هو الشخص الذي لا يزال يحمل ماضيه حتى عندما يكون في مكان جديد، لكنه يكتشف أنه لا ينتمي إلى أي منهما).

في أحد الأيام، وبينما كان يتفقد هاتفه القديم المليء بالرسائل التي لم تُجب، قرر أن يتصل بصديقه الوحيد في الوطن، يوسف. كان الصوت القادم من الجانب الآخر مليئًا بالحيوية، لكنه كان غريبًا عنه أيضًا. أخبره يوسف عن التغيرات التي حدثت في وطنه، عن الأصدقاء القدامى الذين لم يعودوا كما كانوا، عن الشوارع التي تغيرت، وعن المنازل التي هُدمت لتُبنى مكانها أبراج شاهقة .

شعر آدم بما قاله أحد شركائه في السكن وهو يردد: (نحن غرباء حتى عن أنفسنا، لأننا نعيش في عالم لا نفهمه، ونبحث عن معنى في واقع لا يهتم بوجودنا).

كان آدم شخصًا مثقفًا، تخرج من إحدى الجامعات في بغداد، وكان مولعًا بالقراءة ومطالعة الصحف اليومية، والخوض في مناقشات مع الأصدقاء في مختلف المجالات، سواء كانت طبية، فنية، رياضية، أو حتى سياسية. لكنه أصبح كثير الجلوس أمام النافذة، متأملًا في واقع مجهول، متسائلًا عن المستقبل وما يخبئه له.

وفي إحدى الليالي، بينما كان جالسًا أمام نافذته، سمع صوت موسيقى قادمة من الشارع. كانت نغمة شرقية مألوفة، صوت يعود به إلى طفولته، إلى أيام كان يركض في شوارع وطنه دون أن يدرك قيمة اللحظات العفوية التي كان يعيشها في ظل حنان والديه وإخوته. نزل إلى الشارع، ليتبع الصوت، ليجد مجموعة من المهاجرين مثله، يغنون ويرقصون، وكأنهم يستعيدون لحظة مسروقة من الماضي. وقف هناك، ينظر إليهم، ثم ابتسم لأول مرة منذ مدة طويلة. وجد جذور ماضيه وكأنما الدماء بدأت تجري في عروقه من جديد

استمر في العيش بعيدًا، لكنه لم يعد يشعر بأنه وحيد تمامًا. كان يحمل وطنه في داخله، في ذكرياته، وفي الموسيقى التي تجعله يبتسم. وأدرك أن الغربة ليست نهاية القصة، بل جزء منها. كما قال محمود درويش: (الغربة أن يكون وجهك في المرآة غريبًا، ووطنك في حقيبة سفر) لكنه قرر أن يجعل من حقيبته وطنًا يمضي به، أينما ذهب.

في الأيام التالية، بدأ آدم البحث عن شيء يمنحه معنى جديدًا لحياته. انضم إلى نادٍ للقراءة في مدرسة تعلم اللغة التي كان يذهب إليها مرتين في الأسبوع بسبب انشغاله بالعمل.

هناك، تعرف على أشخاص آخرين يشبهونه، يبحثون عن الألفة وسط عالم غريب. بدأ يقرأ أعمال الأدباء الذين تناولوا موضوع الغربة، ووجد فيها صدىً لما يشعر به.

في إحدى تلك الجلسات، التقى بسارة، فتاة كانت تحضر اللقاءات بانتظام. كانت مثل آدم، تحمل في عينيها مزيجًا من الحنين والتحدي. كانت تتحدث عن كتبها المفضلة وكأنها تتحدث عن أماكن زارتها بالفعل. مع مرور الوقت، أصبحت لقاءاتهما أكثر تكرارًا، وبدأ بينهما حديث طويل عن الأحلام الضائعة، وعن محاولة بناء شيء جديد وسط الغربة.

لكن الحياة لم تكن متساهلة دائمًا. بعد أشهر من التعارف، علم آدم أن سارة ستتزوج من شخص قريب لها، وستنتقل إلى مدينة أخرى. كان وقع الخبر عليه كالصاعقة، شعر بأن جزءًا من استقراره النفسي تلاشى. لكنه قرر أن يمضي قدمًا، مركزًا على عمله ودراسته، مواصلًا الكفاح في الغربة لتحقيق آماله.

بعد مرور الأيام، بينما كان يسير بجانب النهر، أدرك أن الرحلة لم تكن هروبًا، بل كانت بحثًا عن شيء جديد. لم يكن بحاجة إلى العودة إلى الوطن ليجد نفسه، لأنه كان دائمًا معه، في كلماته، في ذكرياته، في الموسيقى التي تعيده إلى طفولته. لم يكن بحاجة إلى أن يكون مفهومًا للجميع، طالما أنه وجد من يفهمه ويتعايش معة

كان الوطن في النهاية مجرد فكرة، أما الغربة فكانت اختيارًا. واختار آدم أن يكون جزءًا من الحاضر، أن يبني لنفسه مكانًا جديدًا، أن يحول الغربة إلى تجربة تحمل في داخلها بداية جديدة. في تلك اللحظة، شعر لأول مرة بأنه ليس ضائعًا تمامًا، بل كان فقط في رحلة لاكتشاف ذاته، رحلة قد تطول لكنها لم تعد تخيفه كما كانت من قبل.

بين الحنين والتكيف: خطوات في دروب الغربة

كانت السماء ملبدة بالغيوم الثقيلة، وكأنها تحمل فوقها أحزان العابرين والمغتربين الذين لا يعرفون متى تحط بهم الرحال. الرياح تعصف بواجهات الأبنية العالية، كأنها تُذكّر العابرين بأن هذا المكان لم يُخلق للدفء، بل لمن فقدوا أوطانهم وألقوا بأرواحهم في مهبّ الغربة.

جلس خالد على مقعد خشبي في زاوية أحد المنتزهات العامة، يحدق في كوب القهوة التي بدأت برودتها تزاحم برودة يديه، فكر في هذه اللحظة كيف تبدو الغربة مثل كوب قهوة نسيه صاحبه ، باردًا، فاقدًا لحرارته، لكن رغم ذلك يظل يحمل نكهة مرّة تعتادها مع الوقت.

(آه من همّ الفراق وعيشة الغربة..... آه من برد الشتاء والأشواق)

رددها بصوت خافت، متأملاً قطرات المطر التي تسقط فوق الأرصفة، كما لو أنها تغسل آثار خطى المهاجرين الحائرين الذين مروا من هنا قبله. كان يشعر وكأن روحه تتنازعها رغبتان؛ إحداهما تدفعه للعودة، والأخرى تبقيه هنا، بين هذا البرد الذي أصبح جزءًا منه منذ خمس سنوات، حمل خالد حقيبته الصغيرة، وقلبه المثقل بالأحلام والأوجاع، وغادر وطنه لم يكن قرارًا سهلاً، لكن الفقر والظروف الصعبة لم تترك له خيارًا. كان يردد لنفسه حينها: (يا زمن عُد بساعة) لكن الزمن لا يعود، والقطارات لا ترجع إلى المحطات التي غادرتها، كما أن القلوب التي تهيم في الغربة لا تستعيد دفء الوطن بسهولة .

كان خالد قد جاء إلى هذه البلاد بحثًا عن فرصة، عن حياة كريمة، لكنه وجد نفسه يصارع ظروفًا أصعب مما كان يتخيل. العمل الشاق، الوحدة، والمسافات التي تفصل بينه وبين أهله كانت كفيلة بإضعاف عزيمته. في كل يوم، كان يقف أمام آلة القهوة في المقهى الذي يعمل فيه لساعات طويلة، تتشابك روائحه مع البخار المتصاعد، بينما يناديه الزبائن بأسماء يصعب عليه فهمها بسبب لهجتهم الثقيلة. كان يستيقظ باكرًا ليجد نفسه في معركة يومية مع التعب، وكان العمل في المطاعم والمقاهي من أصعب ما قد يمر به مهاجر جديد. حمل الصواني الثقيلة، تنظيف الطاولات.

(يا هلي، كيف الوصال في هذه الغربة؟ والله أعلم بوضعي؟)

الغربة ليست مجرد مكان غريب تسكن فيه، إنها ذلك الشعور الذي ينمو بداخلك، ذلك الحنين الذي يلازمك كظلٍّ لا يفارقك أبدًا. كلما حاول أن يتناسى، وجد نفسه يعود لتلك الذكريات، لتلك الجلسات حول مائدة العشاء في بيت والديه، لرائحة الخبز الساخن في المطبخ، ولأصوات إخوته وهم يتشاجرون على جهاز التحكم عن بعد،كل هذه التفاصيل الصغيرة أصبحت بالنسبة له كنوزًا مفقودة

لم يكن الفراق سهلاً، لكنه كان ضرورة، لم يرحل لأنه أراد، بل لأن الحياة أجبرته، لطالما تمنى أن يكون له مكانًا في وطنه، لكن الفقر لا يمنح الإنسان حق الاختيار، كان يواسي نفسه بأنه لم يرحل إلا وهو عازم على تحقيق شيء عظيم، لم يكن يريد أن يكون مجرد مهاجر آخر يختفي في زحام المدن، بل أراد أن يكون صاحب قصة نجاح. كان يردد في نفسه: (ما رحلت من الديار ورفقة الصحبة، إلا وأنا ناوي بالمجد عنواني)، فخالد خريج جامعة هندسة وهو مهندس مدني لكن لم يحصل على فرصة عمل في وطنة تلبي طموحة فاراد السفر ،

لكن الحياة في الغربة ليست فقط عناء العمل، بل عناء الشعور بالوحدة أيضًا، في بعض الليالي، كان خالد يعود إلى غرفته المظلمة، يرمي حقيبته الصغيرة على الأرض، ويجلس على حافة السرير، ممسكًا بهاتفه القديم، يتصفح رسائل العائلة التي لم يملك الوقت للرد عليها بسبب العمل المتواصل.

أحيانًا كان يشعر وكأنه آلة تعمل بلا توقف، ليس له وقت حتى للحديث مع أحبائه. كان يمشي وحيدًا في أحد الشوارع، عندما لمح متجرًا عربيًا صغيرًا. دخل دون تفكير، كأنه يبحث عن شيء يربطه بجذوره، هناك رأى صاحب المتجر، رجلًا مسنًا من بلاده، يجلس خلف طاولة خشبية، يحتسي الشاي وهو يستمع إلى أغنية قديمة، جلس معه و بدأ الحديث، وسرعان ما تحوّل الحوار إلى ذكريات مشتركة ،قال الرجل بصوت متحشرج:

(يا بني، الغربة مثل البحر، تغرق فيها دون أن تشعر، وكلما ظننت أنك اقتربت من اليابسة، تجد نفسك في أعماق أخرى)

أطرق خالد برأسه، شعر وكأن الكلمات تخترق قلبه، ظلّ يفكر فيما قاله الرجل طوال الليل، وأدرك أن هذا الشعور لن يزول، أن الغربة ليست محطة مؤقتة، بل قد تصبح قدرًا أبديًا.

في تلك الليلة، اتصل بوالدته، كان قد اعتاد على سماع صوتها كل بضعة أيام، لكنه في هذه المرة، كان بحاجة إلى أكثر من ذلك. تحدث معها عن كل شيء: عن العمل، عن الدراسة، عن الأيام التي تمر ببطء، وعن تلك الرغبة في العودة التي تزداد يومًا بعد يوم. بكت أمه، وقالت بصوت مرتجف:

"يا بني، لا تدع الغربة تأكلك، لا تنسَ من تكون، ولا تنسَ أننا ننتظرك"

كانت هذه الكلمات كضوء خافت في نفق مظلم. كان يعلم أنه لن يعود قريبًا، لكنه قرر أن يحمل وطنه داخله، أن يجعل من كل نجاح يحققه انتصارًا لأولئك الذين يحبونه. بعد سنوات عديدة، وبعد أن حصل على وظيفة في مكتب للبناء، وقف خالد أمام باب مكتبه الجديد، يتأمل اسمه المكتوب على اللوحة الذهبية الصغيرة ضمن أسماء العاملين في المشروع. لم يكن التحديق في المنزل الجديد أو تأمل المدينة هو ما يشغله، بل الشعور بأنه حقق جزءًا مما حلم به. لم يكن هذا النجاح مجرد مكافأة للسنوات الصعبة التي مر بها، بل كان إثباتًا لنفسه أنه لم يرحل عبثًا.

دخل المكتب، جلس خلف مكتبه لأول مرة، وأخذ نفسًا عميقًا. أمسك بهاتفه واتصل بوالدته قائلًا:

(أمي، اليوم، شعرت لأول مرة أنني لم أعد ذلك الشاب التائه... أنا بخير الآن)

كانت الغربة رحلة صعبة، لكنها لم تكن النهاية، بل كانت بداية جديدة صنعت منه شخصًا أقوى، وأقدر على مواجهة الحياة.

رحلة الاعتراف: صراع الأمل والإصرار في أرضٍ جديدة

جلس كمال أمام نافذة شقته الصغيرة في ستوكهولم، يحدّق في السماء الرمادية بينما كانت يداه ترتجفان وهو يحتسي كوب الشاي. لم يكن برد الشتاء السبب وراء ارتجافه، بل وطأة السنوات التي انقضت بين محاولات الاعتراف بشهادته الطبية وإجراءات لا تنتهي. جاء إلى السويد قبل ثلاث سنوات، حاملاً معه شهادة في الطب، سنوات من الخبرة، وأحلامًا كبيرة بمواصلة رسالته في إنقاذ الأرواح. لكنه سرعان ما اصطدم بجدار من التعقيدات البيروقراطية والاختبارات الصعبة التي وضعته أمام تحدٍ جديد لم يكن في الحسبان. في الغرفة المجاورة، كانت زوجته ليلى تحاول تهدئة طفلهما الذي بدأ بالبكاء. لم تكن هذه الليلة الأولى التي يشعر فيها كمال بالعجز، لكن هذه المرة كان الإحباط يطرق بابه بقوة. تذكر كيف كان في بلده طبيبًا يحظى بالاحترام، يقف بثقة أمام مرضاه، يوجّههم بعلمه، ويخفف آلامهم. أما هنا، فقد أصبح مجرد اسم في قائمة طويلة من الأطباء الأجانب (ولدى الكثير منهم خبرات طويلة و احيانا مميزة بشكل معين) الذين ينتظرون الاعتراف بشهاداتهم.

ورغم أن سوق العمل في السويد بحاجة ماسة إلى الأطباء، إلا أن العقبة الأكبر كانت الحصول على اعتماد رسمي من المجلس الطبي السويدي، وهو ما تطلب منه خوض رحلة طويلة من التقييم. فور وصوله، قدّم أوراقه للمجلس وانتظر أشهرًا للحصول على رد، لم يكن أكثر من عبارة دبلوماسية:

(شهادتك تحتاج إلى مراجعة)، والتي كانت تعني عمليًا أنه يجب عليه اجتياز سلسلة من الاختبارات النظرية والعملية.

أولى التحديات كانت اللغة، والتي تتطلب عادة ما بين 12 إلى 18 شهرًا لإتقانها حسب قدرة الدارس. انكب كمال على الدراسة، يحضر المحاضرات، يطالع في المكتبة حتى منتصف الليل، ويجري اختبارات تجريبية على الإنترنت. لكنه أدرك سريعًا أن إتقان

المصطلحات الطبية وحده لا يكفي، ففهم الأسئلة والاستفسارات من المرضى بشكل عام وان كانت بسيطة يشكل بحد ذاته تحديا هائلًا .

كمال لم يكن وحده في هذه الرحلة. كان لديه صديقه يوسف، مهندس مدني بارع صمّم جسورًا ومبانٍ شاهقة في بلده، لكنه عندما جاء إلى السويد، أُبلغ بأنه بحاجة إلى إعادة دراسة بعض المواد والخضوع لفترة تدريب قبل أن يُسمح له بالعمل. لم يستطع يوسف استيعاب الأمر؛ فهو يملك خبرة تتجاوز عشر سنوات، ومع ذلك لم تكن كافية

قال له ذات ليلة وهما يجلسان في مقهى صغير

أشعر وكأنهم لا يثقون بنا، كيف يمكنني إثبات كفاءتي إن لم يمنحوني فرصة للعمل؟

أما "رنا"، فقد كانت قصتها مختلفة. كانت محامية ناجحة، تدافع عن المظلومين وتخوض معارك قانونية معقدة. لكن عندما جاءت إلى السويد، وجدت أن القوانين مختلفة تمامًا، وأن عليها إعادة الدراسة بالكامل تقريبًا. عرفت أنها بحاجة إلى البدء من الصفر، لأن النظام القانوني السويدي يعتمد على أسس تختلف جذريًا عمّا ألفته،قالت بحسرة وهي تستعد لأول يوم لها في دورة القانون السويدي كانهم يريدون مسح كل شي تعلمناة في الماضي سواء كان ايجابيا أم سلبيا يتناسب مع القيم السويدية أو لا .

أما مسرور، خريج كلية الآداب قسم الاجتماع، فقد قرر ألّا يكمل معادلة الشهادة، بل القبول بأي عمل إداري أو يدوي، لأنه يرى أن السعي وراء المعادلة مضيعة للوقت والجهد، وأن النتيجة واحدة: الحصول على أي عمل سواء كان بسيطا أو متعبا يوفر لة سبل العيش الكريم.

بعد أن اجتاز كمال بصعوبة الامتحان النظري للغة، بقي أمامه التحدي الأكبر: الاختبار العملي. كان يعلم أن هذه فرصته الأخيرة لإثبات قدرته كطبيب، لكنه لم يكن مستعدًا لحجم الضغوط التي تنتظره. خلال فترة التدريب، تم تكليفه بمرافقة طبيب سويدي أقل

منه خبرة في قسم الطوارئ، يراقب أسلوبه في التعامل مع المرضى، وطريقة استخدامه للمصطلحات الطبية الدقيقة او حتى المصطلحات العامة البسيطة ، وكيفية إدارته للفريق.

في أحد الأيام، وصل مريض يعاني من نوبة قلبية، كان كمال يعلم تمامًا ما يجب فعله، لكنه تردد للحظة. ماذا لو أخطأ؟ ماذا لو لم يكن أسلوبه في العمل مناسبًا؟ لكنه تذكر مرضاه في وطنه، أولئك الذين أنقذهم بلا تردد. دفع نفسه للأمام، تدخل بسرعة، وأعطى التعليمات بوضوح وثقة.بعد انتهاء الموقف، نظر إليه الطبيب المشرف وقال: عمل رائع يا كمال ، لم تكن رحلة كمال سهلة، ولم تكن كذلك ليوسف أو رنا أو غيرهم، لكنهم جميعًا أدركوا أن النجاح في السويد لا يقتصر على الاعتراف بشهاداتهم، بل هو معركة طويلة لإثبات الذات، معركة تحتاج إلى صبر وعزيمة. لم يكن الأمر مجرد الحصول على رخصة للعمل، بل كان إثباتًا بأنهم قادرون على تقديم شيء ذي قيمة، بأنهم لا يقلّون كفاءة عن زملائهم السويديين، وأن سنوات دراستهم وخبرتهم لم تذهب سدى .

ليلة أخرى، جلس كمال أمام نافذته مجددًا، لكن هذه المرة لم يكن الإحباط سيد اللحظةكان هناك أمل. لقد اجتاز الاختبار العملي، وأصبح على وشك الحصول على رخصة العمل كطبيب في السويد.

لم يكن الطريق سهلاً، لكنه كان يستحق العناء. والآن، تبدأ رحلة جديدة: البحث عن عمل مناسب في المكان المناسب.

في السويد، لا تُسمع العنصرية بصوت مرتفع، ولا تراها بشكل صريح في الشوارع، لكنها تسكن في التفاصيل. هي أشبه برداء شفاف أبيض، ناعم وبارد، يُخفي ما تحته ولا يكشفه إلا من عاش داخله. السويدي، في الغالب، لا يصرخ في وجهك بسبب لونك، ولا يطلب منك العودة إلى (بلدك الاصلي)، لكنه قد يتجاهلك في الطابور، أو يرفض طلبك للعمل، أو يُشعرك بأنك (أقل قليلًا) دون أن يقولها بصراحة واضحة ومباشرة للشخص المعني. هذه ليست عنصرية فجّة كما في أماكن أخرى، بل عنصرية مغلفة بالأدب، وبما يُسمى هنا

بـ(الحيادية). لكن الحقيقة أن الكثير من المهاجرين يلمسون هذا النوع من التمييز كل يوم، سواء في سوق العمل، أو في المدارس، أو حتى في العلاقات الاجتماعية، فالمهاجرون يرسلون عشرات الطلبات للعمل دون رد، بينما يحصل السويدي على فرصة المقابلة فقط لأن اسمه كارل وليس احمد.

اللغة من العائق إلى الأداة

(لكي تفهم أمة، تعلّم لغتها- جورج ستاينر)

في الغربة تبدو اللغة كحاجزٍ عالٍ يفصل بين المهاجر والعالم الجديد كلمات غير مألوفة لهجات يصعب فهمها أوراق رسمية وتعليمات لا تترك مساحة للخطأ وتعبيرات يومية تتطلب سرعة بديهة وثقة لا تتوفر بسهولة لدى من يخطو أولى خطواته في مجتمع جديد ،لكن شيئًا فشيئًا تتحول اللغة من مجرد وسيلة للتواصل إلى قضية وجودية هي ليست فقط ما ينطق به اللسان بل ما يفصل بين التهميش والانخراط بين العزلة والمشاركة بين أن تكون متفرجًا أو أن تصير جزءًا من المشهد.

في البداية يشعر كثير من المهاجرين بالثقل يترددون في الحديث يخافون من الخطأ يتجنبون الدخول في حوارات طويلة أو الرد على الهاتف أو حتى الذهاب إلى مقابلات العمل اللغة تبدو كاختبار يومي تُقاس فيه قيمتهم وقدراتهم وشجاعتهم ، لكن الحقيقة أن اللغة لا تنتمي للمدرسة وحدها ولا تُتعلم فقط في فصول الدراسة (مدارس السويدية للاجانب) بل في المقاهي في الحافلات في المخبز في الحوارات العابرة في صوت المذياع السويدي وهي يروي الأخبار وفي ضحكة الجار حين يُعلق على الطقس.

يمكن للمهاجر أن يحول اللغة من عائق إلى أداة قوة ذاتية لا عبر التفوق اللغوي التقليدي بل عبر تحويل اللغة إلى فضاء للتعبير عن الذات لا مجرد البقاء فيها ومن هنا تبدأ الحكاية

أولًا لا بد من كسر الخوف من الخطأ ، اللغة ليست امتحانًا نهائيًا بل مشروع حياة كل من تعلم لغة ثانية أخطأ وتلعثم وتردد وضاع منه المعنى قبل أن يعود إليه لا بأس في الخطأ بل إن الخطأ هو الطريق الوحيد للإتقان فتعلم لغة أخرى هي رؤية جديدة للحياة كما يقول دوستويفسكي.

ثم تأتي الشجاعة في استخدام ما تملكه من مفردات مهما كانت محدودة أن تطلب فنجان القهوة بنفسك أن تشرح حالتك في البريد أن تقول صباح الخير لجارك أن تحكي قصتك البسيطة في صف اللغة كل ذلك هو نحتٌ في جدار الصمت.

لكن لتتحول اللغة إلى أداة لا بد من الخروج عن النمطية التقليدية للدرس النحوي الجاف وهنا تأتي الأدوات غير التقليدية التي تصنع الفرق الحقيقي ، نوادي الحوار واحدة من أقوى تلك الأدوات حيث يلتقي الناس ليتحدثوا دون خوف من الخطأ في أجواء غير رسمية في المكتبات العامة أو الجمعيات المحلية تُنظم لقاءات حوارية حول مواضيع مختلفة الثقافة الطعام الأسرة الطقس السياسات المحلية ويشارك فيها مهاجرون وسويديون مما يخلق مساحة حقيقية للتبادل والتعلم.

البودكاست أيضًا أداة مذهلة للاستماع والتعلّم يمكن للمهاجر أن يختار بودكاستًا سويديًا مبسطًا يتحدث عن الحياة اليومية عن العمل أو الأخبار أو الثقافة الشعبية الاستماع اليومي لمدة عشرين دقيقة يصنع فرقًا هائلًا في تحسين المهارة السمعية وتوسيع المفردات

المسرح كذلك أداة فريدة في تعليم اللغة لا بمعناها الفني فقط بل كوسيلة للتعبير عن الذات عدد من الجمعيات تنظم ورش مسرحية للمهاجرين يكتبون فيها نصوصهم يؤدون مشاهد مرتجلة يواجهون الخوف على المسرح فيغلبونه باللغة.

وهناك أيضًا التعلم عبر الأغاني والاستماع إلى الموسيقى السويدية الشعبية أو الحديثة محاولة فهم الكلمات وكتابتها ثم تكرارها وهذا يربط المتعلم بروح اللغة لا فقط قواعدها

اللغة السويدية ليست لغة صعبة لكنها تحتاج إلى نفس طويل وإرادة واستعداد للانكشاف دون دفاعات فالحديث يعني أن تكون مرئيًا ، المهاجر أحيانًا يخاف من الظهور لأنه لم يُعوّد على ذلك في بيئته الأصلية أو لأنه يحمل جرحًا في صوته يخشى أن يُستهزأ به أو يُساء فهمه ،لكن الواقع أن المجتمع السويدي في كثير من جوانبه يُقدر المحاولة ويشجع من يجتهد في التواصل فهناك الكثير من السويديين يبدون تعاطفًا واضحًا مع من يتحدث بلغتهم ولو بشكل بسيط ويُشجعونه بالكلمات والتفاعل فتعلم لغة جديدة هو أن تكتسب روحًا ثانية كما يقول كارلوس فوينتس.

كنت أتناول الغداء في العمل مع زميلة سويدية في احد الايام ، كانت قد شاركتني سابقًا شغفها بتعلم اللغة العربية، لم تكن بحاجة إلى تعلمها لمجرد الثقافة، بل لأنها تتعامل كثيرًا مع المهاجرين من أصول عربية، وكانت ترغب أن تقترب منهم بلغتهم لا أن تبقي المسافة بين الكلمات أو تعطي انطباع بان لديها معرفة بالثقافة العربية فيكون لديها قدرة اكثر في تبادل وجهات النظر.

في أحد الأيام، مرّت بالقرب من مطعم صغير للفلافل في إحدى الضواحي ، نظرت إلى الواجهة ثم دخلت بثقة، وفي لهجة واضحة وابتسامة دافئة، قالت للبائع باللغة العربية الركيكة: (أريد ساندويش فلافل) ، البائع، رجل في منتصف العمر من أصول عربية، رفع (رأسه متفاجئًا)، وقال لها بدهشة ممزوجة بالفرح (تتحدثين العربية)، فردت بخفة وابتسامة ، نعم قليلا .

بدأ بتحضير الساندويش وهو يبتسم لها، يسألها عن الإضافات وعند نقطة معينة، توقفت زميلتي، ونظرت إليه مستفسرة (باللغة السويدية) ،(ماذا تعني العنبة)؟ وما هو هذا الصاص الأبيض؟ هل هو حمص؟ أم طحينة؟

ضحك كلاهما، وكان الموقف عاديًا لكنه في باطنه كان يحمل رمزًا كبيرًا : كيف يمكن للغة أن تهدم الحواجز، وتبني جسورًا صغيرة في أماكن غير متوقعة.

لم تكن تتحدث العربية بطلاقة، لكنها حاولت. ولم يكن البائع خبيرًا في اللغة السويدية الأكاديمية، لكنه تواصل معها من مكان إنساني بسيط، هذا هو جوهر اللغة حين تُستعمل من القلب وببساطة: أداة للاقتراب لا للتقييم، ومساحة للفهم لا للاختبار.

كانت تلك الساندويشة الصغيرة أكثر من مجرد وجبة، كانت درسًا في أن اللغة حين تُستخدم للتقارب لا للتفوق، تتحول من أدوات نطق إلى أدوات تواصل، ومن جمل محفوظة إلى مواقف لا تُنسى، هنا تفهم الفرق في قوة الارادة للشخص في كسر حاجز الخوف.

اللغة لا تُكتسب وحدها بل تُعاش تحتاج إلى محيط يمدّها بالأوكسجين تحتاج إلى أخطاء تُرتكب وإلى ضحك يُرافق التصحيح وإلى محادثات عابرة لا تتعلق بالمهنة أو الأوراق الرسمية بل بالحياة اليومية والسؤال عن الطقس أو تعليق على لون المعطف.

أن تُتقن اللغة لا يعني أن تتحدث بطلاقة أكاديمية بل أن تعرف كيف تسأل عن الطريق كيف تحجز موعدًا كيف تعبّر عن رأيك بهدوء كيف تشرح ما تحتاج إليه دون خوف أو تردد.

في النهاية تعلم اللغة في السويد أو اي بلد كان ليس مشروعًا لتجاوز الامتحانات الرسمية بل طريق لاكتساب مساحة شخصية للتحرك والتأثير والاندماج بطريقتك الخاصة ليس المطلوب أن تتحدث مثل مذيع في الراديو بل أن تتحدث مثل نفسك لكن بلغتهم ، قد يكون هناك من لا يتقبل التفاهم باللغة البسيطة ولا ينجذب الى التعارف او التحدث مع الاجانب ولكن مع الاصرار في التعلم ومحاولة تخطي العواقب لا بد من ان تكون هناك فرص متاحة يستطع المتعلم ان يستفاد منها حتى ولو كانت قليلة ، حين ذاك تصبح اللغة أداتك فترى أنك لا تعيش على الهامش بل في المركز تتفاوض على فرصك تصنع صداقاتك ، تقرأ الأخبار وتفهم ما يحدث حين تشارك في اللقاءات المجتمعية وتصبح قادرًا على أن

تقول لا حين لا تريد وأن تطلب حين تحتاج ، في الغربة اللغة ليست رفاهية بل ضرورة لكنها أيضًا باب للتمكين الشخصي ومن هنا تبدأ الحرية.

الولوج إلى سوق العمل في السويد

يُعتبر سوق العمل في السويد واحدًا من أكثر الأسواق تنظيمًا في أوروبا، حيث تعتمد قوانينه على مبادئ العدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع العاملين، بغض النظر عن خلفياتهم. ومع ذلك، فإن الواقع لا يكون دائمًا مطابقًا لهذه القيم، حيث تؤثر عوامل مثل الجنسية، اللغة، الاسم، ولون البشرة على فرص الحصول على العمل والاستقرار فيه. ينقسم سوق العمل في السويد إلى قسمين رئيسيين: الوظائف الحرفية واليدوية التي تعتمد على القوة البدنية والمهارات العملية، والوظائف التي تتطلب شهادات وخبرات أكاديمية. وعلى الرغم من توفر الفرص، إلا أن هناك تحديات عديدة تواجه المهاجرين في كلا النوعين، تتراوح بين العقود غير المستقرة، الاستغلال، التمييز في التوظيف، والعمل في الاقتصاد غير الرسمي أو ما يُعرف بـ العمل الأسود.

الوظائف الحرفية واليدوية

تشمل هذه الفئة من الوظائف العديد من المجالات التي لا تتطلب شهادات أكاديمية، وإنما تعتمد على الجهد البدني والمهارات اليدوية. تشمل هذه الأعمال وظائف التنظيف، غسل الصحون في المطاعم، العمل في البناء، نقل البضائع، التوصيل عبر الدراجات، والعمل في الأفران والمخابز. هذه الوظائف تُعد مدخلًا سريعًا لسوق العمل بالنسبة للمهاجرين الجدد أو لمن لا يمتلكون شهادات أكاديمية أو إتقانًا كافيًا للغة السويدية. وعلى الرغم من أن بعضها يوفر دخلًا مناسبًا، إلا أن معظم هذه الوظائف تُقدم بعقود مؤقتة أو بدون عقود رسمية، مما يجعل العمال عرضة للاستغلال من قبل أرباب العمل.

تُعاني هذه الفئة من العاملين من مشكلات مثل الأجور المنخفضة، ساعات العمل الطويلة، وعدم الاستقرار الوظيفي. في كثير من الحالات، يحاول أصحاب العمل تجنب

دفع الضرائب والتأمينات الاجتماعية من خلال توظيف العمال بطرق غير قانونية، مثل الدفع نقدًا أو تشغيلهم بعقود قصيرة الأمد يتم إنهاؤها دون سابق إنذار ، كما أن غياب الحماية النقابية في كثير من هذه الوظائف يجعل العمال في موقف ضعيف، حيث لا يستطيعون المطالبة بحقوقهم القانونية الاساسية بسهولة خوفًا من فقدان وظائفهم التي يعملون بها.

الوظائف التي تتطلب شهادات أكاديمية وخبرات مهنية

على الجانب الآخر، هناك الوظائف التي تعتمد على التعليم الأكاديمي والخبرة المهنية، مثل الطب، الهندسة، تكنولوجيا المعلومات، الاقتصاد، والتعليم. هذه الوظائف تُوفر عادةً رواتب أعلى واستقرارًا وظيفيًا أكبر، لكنها تتطلب متطلبات أكثر تعقيدًا، مثل مستوى عالٍ من اللغة السويدية، معادلة الشهادات الأجنبية، والخضوع لتدريبات إضافية تتناسب مع معايير السوق السويدي.

التحدي الأكبر الذي يواجهه المهاجرون في هذه المجالات هو المنافسة مع المواطنين السويديين، الذين لديهم ميزة اللغة، المعرفة بالنظام المحلي، والشبكات الاجتماعية والمهنية التي تسهل عليهم الحصول على الوظائف. حتى عندما يمتلك المهاجرون مؤهلات متساوية أو حتى أعلى، فإنهم غالبًا ما يواجهون عقبات في التوظيف بسبب التمييز القائم على الاسم أو الخلفية العرقية.

التمييز في سوق العمل السويدي

على الرغم من أن السويد تُعرف بأنها من الدول التي تُروج للمساواة والعدالة الاجتماعية، إلا أن العديد من الدراسات والأبحاث أظهرت وجود تمييز في التوظيف ضد المهاجرين، خاصة من أصول غير أوروبية. من أكثر أشكال التمييز وضوحًا ما يُعرف بـ (تأثير الاسم) حيث أظهرت دراسات أن الأشخاص الذين يحملون أسماء سويدية تقليدية يحصلون على

ردود أكثر إيجابية عند التقديم للوظائف مقارنة بمن يحملون أسماء أجنبية غير سويدية، حتى لو كانت مؤهلاتهم وخبراتهم متطابقة.

التمييز لا يقتصر فقط على الأسماء، بل يمتد أيضًا إلى لون البشرة والخلفية العرقية، هناك حالات عديدة لأشخاص ذوي بشرة داكنة أو من أصول شرق أوسطية أو أفريقية تم استبعادهم من الوظائف دون مبرر واضح، في حين يتم توظيف أشخاص من أصول أوروبية بسهولة أكبر. هذا النوع من التمييز يؤدي إلى شعور بالإحباط بين المهاجرين، حيث يجد البعض أنفسهم مضطرين إلى تغيير أسمائهم أو تعديل سيرهم الذاتية لإخفاء خلفياتهم العرقية على أمل الحصول على فرص عمل أفضل .

التمييز لا يتوقف عند التوظيف فحسب، بل يستمر حتى بعد دخول سوق العمل، حيث يواجه بعض المهاجرين صعوبة في الترقية أو الحصول على مناصب قيادية داخل الشركات. في كثير من الأحيان، يُفضل أرباب العمل ترقية الموظفين السويديين الأصليين حتى لو كانوا أقل كفاءة من زملائهم المهاجرين، مما يُكرّس فجوة واضحة في فرص النمو المهني.

يُربّى السويدي منذ صغره على احترام القانون، وتقدير المساحة الشخصية، وتجنب الصراع المباشر. ولهذا، غالبًا ما تكون العنصرية مغطاة بلغة ناعمة، وتصرفات هادئة، يصعب الإمساك بها، لكنها تُشعر المهاجر بأنه (ضيف طويل الأمد)، مقبول ضمن حدود، لكنه ليس جزءًا أصيلًا من (البيت)، المشكلة لا تكمن فقط في الفرد السويدي، بل في بنية المجتمع نفسه. قوانين كثيرة تم وضعها لمحاربة التمييز، لكن التطبيق العملي يظل ضعيفًا، لأن النظرة العميقة للمهاجر لم تتغير. في الإعلام، غالبًا ما يُربط المهاجر بمشاكل الاندماج، والجريمة، والتطرف الديني، وهو ما يُغذي الصور النمطية ويؤثر على الرأي العام، حتى دون وعي مباشر.

تجربة كثير من المهاجرين تؤكد أن الشخص قد يقضي سنوات في السويد دون أن يكون له

صديق سويدي واحد، ليس لأن السويدي سيء، بل لأنه متحفظ، انتقائي في علاقاته، ويشعر بالراحة في دوائره المغلقة.

وهذا الانغلاق، في حد ذاته، يعمّق الإحساس بالغربة، ويجعل (الاندماج) مجرد شعار على ورق ، بعض السويديين يعترفون بوجود العنصرية، ولكنهم يُرجعونها إلى (قلة قليلة) من المتطرفين أو الجهلة. لكن المهاجرين يعرفون أن المسألة أوسع من ذلك؛ إنها نظرة ثقافية، متجذرة في تاريخ طويل من (السويدية) كهوية بيضاء، هادئة، ونقية. وكل من يخرج عن هذا الإطار، يُنظر إليه ك (آخر) يجب أن يُراقب بعناية.

.

هنا لا نسعى لتعميم الاتهام أو تصوير السويديين كعنصريين، بل لإبراز واقع يعيشه المهاجر يوميًا، واقع مزدوج: ظاهرٌ هادئ، وباطنٌ ثقيل. إن العنصرية هنا لا ترتدي قبعة سوداء، بل وشاحًا أبيض أنيقًا، وتبتسم بلطف، لكنها لا تفتح الباب بسهولة.في النهاية، العنصرية في السويد لا تُقال... بل تُمارس بهدوء. وهذا ما يجعلها أكثر تعقيدًا، وأكثر قسوة على من يشعر بها كل يوم، دون أن يملك دليلًا واحدًا يرفع به صوته.

العمل خارج اطار سوق العمل القانوني(العمل الاسود) في السويد

نتيجة للعقبات التي يواجهها البعض في دخول سوق العمل الرسمي، يلجأ بعض المهاجرين إلى العمل خارج إطار القانون، فيما يُعرف بـ العمل الاسود يشمل هذا النوع من العمل الوظائف التي تتم دون تسجيل رسمي، مثل العمل في المطاعم، التنظيف، البناء، أو التوصيل. في هذه الحالات، يتم دفع الأجور نقدًا، دون دفع الضرائب أو تسجيل العامل في نظام التأمين الاجتماعي، مما يعني أنه لا يتمتع بأي حقوق قانونية مثل الإجازات المرضية أو التعويضات المالية في حال التعرض للإصابة المباشرة أثناء أوقات العمل. العمل الأسود يُشكّل امر مزدوج؛ فمن ناحية، يُوفر للأشخاص غير القادرين على العثور على وظائف رسمية فرصة لكسب لقمة العيش، لكنه من ناحية أخرى يجعلهم عرضة للاستغلال الشديد، بعض أرباب العمل يستغلون وضع المهاجرين غير المستقر،

فيجعلونهم يعملون لساعات طويلة بأجور أقل بكثير من الحد الأدنى القانوني، وأحيانًا يتم تأخير الأجور أو عدم دفعها نهائيًا دون أن يكون لدى العامل أي وسيلة قانونية لاسترداد حقوقه.

في بعض الحالات، يتم تهديد العمال الذين يعملون في الاقتصاد غير الرسمي بالإبلاغ عنهم للسلطات إذا حاولوا المطالبة بحقوقهم، خاصة إذا كانوا في وضع غير قانوني أو لا يمتلكون تصريح عمل، هذا الوضع يخلق بيئة عمل غير إنسانية تجعل المهاجرين في موقف ضعيف، حيث يضطر البعض إلى القبول بشروط غير عادلة خوفًا من فقدان مصدر دخلهم الوحيد.

تأثير هذه العوامل على المهاجرين والمجتمع

التفاوت في فرص العمل بين المهاجرين والمواطنين السويديين لا يؤثر فقط على الأفراد، بل يمتد ليشمل المجتمع ككل، عندما يواجه المهاجرون صعوبات في الحصول على وظائف تتناسب مع مؤهلاتهم، فإن ذلك يؤدي إلى هدر في المهارات والكفاءات، حيث يضطر الكثيرون إلى العمل في وظائف أقل من مستواهم التعليمي. هذا الوضع يُسهم في زيادة الفجوة الاقتصادية بين المهاجرين والسكان الأصليين، مما قد يؤدي إلى مشاكل اجتماعية مثل التهميش والعزلة الاجتماعية.

في الوقت نفسه، فإن انتشار العمل الأسود يؤثر على الاقتصاد السويدي، حيث يؤدي إلى خسائر كبيرة في الضرائب، كما يجعل بعض القطاعات أقل استقرارًا بسبب الاعتماد على العمالة غير المسجلة. رغم محاولات الحكومة الحد من هذه الظاهرة من خلال فرض قوانين صارمة على أصحاب العمل، إلا أن المشكلة لا تزال قائمة، خاصة في القطاعات التي تعتمد على العمالة غير المتخصصة.

التمييز والإقصاء في سوق العمل السويدي يُشكّل عائقًا كبيرًا أمام العديد من المهاجرين، خاصة الشباب الذين يجدون أنفسهم في وضع صعب بسبب الفجوة الاقتصادية

والاجتماعية التي تحول دون اندماجهم الكامل في المجتمع. عندما يُحرم الأفراد من فرص عمل عادلة أو يُواجهون تمييزًا بناءً على أسمائهم أو لون بشرتهم، فإن ذلك لا يقتصر فقط على صعوبة إيجاد وظيفة، بل يمتد ليؤثر على حياتهم بأكملها، مما يدفع بعض الفئات الأكثر ضعفًا إلى البحث عن بدائل غير قانونية تعوض غياب الفرص المشروعة. في بعض من الحالات، تُصبح العصابات الإجرامية هي بديل بالنسبة لأولئك الذين يشعرون بأنهم مرفوضون من قبل المجتمع وهذا ليس تبرير للافعال السيئة وانما محاولة فهم احد الاسباب التي قد تؤدي الى دخول عالم العصابات

بين التطرف والإسلاموفوبيا: مأزق الهوية في أوروبا

في المجتمعات الأوروبية الحديثة، خاصة تلك التي استقبلت أعدادًا كبيرة من المهاجرين في العقود الأخيرة، تبرز ظاهرتان خطيرتان تؤثران بشكل مباشر في الحياة اليومية للأوروبيين من أصول مهاجرة يعتنقون الإسلام، سواء كانوا ممارسين للشعائر الدينية أو لا. هاتان الظاهرتان هما: التطرّف والإسلاموفوبيا.

هذان المصطلحان غالبًا ما يُتداولان في الإعلام والسياسة، لكن قلّما يُتناولان بعمق من منظور المهاجر نفسه، الذي يجد نفسه في قلب المعادلة، متهمًا من جهة، وضحية من جهة أخرى. فالتطرف، كما يُشار إليه، هو الميل إلى العنف أو الفكر المتشدد باسم الدين، بينما الإسلاموفوبيا هي الخوف المرضي، والكراهية، والتحامل على الإسلام والمسلمين.

كلا الظاهرتين تُشكّلان معًا جدارًا من العزلة حول المهاجر المسلم، وتضعه في زاوية ضيقة محدودة لا يُمكنه الخروج منها بسهولة .

في واقع الأمر، التطرّف لا ينشأ من فراغ ، إنه يتغذى على الإقصاء، والعزلة، والشعور الدائم بعدم الانتماء. كثير من الشباب من أصول مهاجرة، خاصة أولئك الذين نشأوا في أحياء مهمّشة، وواجهوا التمييز والعنصرية منذ الطفولة، يجدون أنفسهم فريسة سهلة لأفكار متطرفة تقدّم لهم هوية قوية، وشعورًا بالانتماء، وأجوبة حادة لأسئلة معقّدة

هؤلاء لا يُولدون متطرفين، بل يتحولون تدريجيًا، حين يشعرون بأن المجتمع لا يقبلهم مهما حاولوا، وأنهم "الآخر" دائمًا. يجدون في الأيديولوجيات المتطرفة ملاذًا نفسيًا أكثر منه دينيًا، فهي تمنحهم إحساسًا بالقوة في وجه ضعفهم، وبالعدالة في وجه ما يرونه ظلمًا ممنهجًا. وهنا لا بد من التوضيح: التطرف لا علاقة له بالإسلام الحقيقي، بل هو انحراف خطير، يجد أرضه الخصبة في التهميش والانغلاق وغياب الحوار

.

في المقابل، هناك الإسلاموفوبيا، التي باتت تأخذ أشكالًا متعددة في المجتمعات الأوروبية، من التغطية الإعلامية المشحونة، إلى السياسات التمييزية، وصولًا إلى الاعتداءات اللفظية والجسدية. المسلم في أوروبا، وبالأخص إن كان يحمل اسمًا غير أوروبي أو مظهرًا (إسلاميًا)، قد يواجه يوميًا نظرات شك، أو أسئلة مستفزة، أو حتى تهديدات مباشرة، تسهم بعض وسائل الإعلام في تغذية هذه الصورة المشوّهة، حيث تُربط أي حادثة عنف أو إرهاب بالإسلام مباشرة، في حين تُعامل الجرائم المرتكبة من غير المسلمين على أنها حوادث(فردية) أو (اضطرابات نفسية). هذه الازدواجية في المعايير تولّد شعورًا بالظلم لدى المسلمين، وتعزز مناخ الريبة والانقسام داخل المجتمعات الأوروبية.

المؤسف أن التطرف والإسلاموفوبيا يُغذّيان بعضهما البعض. فكلما وقع عمل متطرف باسم الإسلام، ارتفعت موجة الإسلاموفوبيا، وكلما زادت الكراهية والتمييز ضد المسلمين، زادت قابلية البعض للانجرار نحو التطرف كرد فعل على الظلم ، إنها دائرة مغلقة، لا يكسرها سوى الاعتراف بالتعقيد، والابتعاد عن التعميم، والعمل الجاد على بناء جسور حقيقية بين الثقافات بالنسبة للمهاجر المسلم، هذه الثنائية تؤدي إلى أزمة هوية حقيقية. فهو يشعر أحيانًا بأنه مطالب بالتخلي عن دينه أو التبرؤ منه ليثبت (ولاءه) للمجتمع، وفي الوقت نفسه يُتّهم بأنه لا يندمج كفاية. يعيش في منطقة رمادية، حيث لا يُعتبر سويديًا بالكامل، ولا يمكنه العودة إلى هويته الأصلية بشكل كامل أيضًا.

الإسلاموفوبيا في السويد لا تكون دائمًا بصيغة الشتائم أو الاعتداءات، بل تتسلل بهدوء، في قرارات التوظيف، في تصرفات زملاء العمل، في تعليقات المعلمين، أو حتى في تعامل الجيران. إنها عنصرية مغلفة بالتحفظ السويدي، تُمارس بلطف، لكنها تُشعر المسلم يوميًا بأنه ليس جزءًا حقيقيًا من المجتمع. في الإعلام، يُربط الإسلام كثيرًا بالتطرف، وكأن المسلم متهم حتى يثبت العكس. قضايا الجريمة أو الفشل في الاندماج غالبًا ما تُربط بالمسلمين، ولو بطريقة غير مباشرة، ما يعزز الصورة النمطية بأن المسلم هو الخطر المحتمل ، في السنوات الأخيرة، تصاعدت المواقف العلنية المعادية للإسلام، سواء عبر حرق المصاحف، أو مظاهرات اليمين المتطرف، أو حتى تصريحات سياسيين يدّعون أنهم يدافعون عن (قيم السويد)، في مقابل ما يصفونه بـ(الخطر الإسلامي)، هذه الخطابات أثّرت فعليًا على السياسات العامة، وخلقت بيئة أكثر تشددًا في التعامل مع المهاجرين ، الشباب من الجيل الثاني يعيشون في قلب هذا الصراع. فهم لا يعرفون أوطان آبائهم إلا من خلال الحكايات، وفي الوقت نفسه، لا يشعرون بانتماء كامل للسويد التي ولدوا فيها. يُطلب منهم أن يكونوا (أوفياء) لقيم البلد، لكنهم يُعاملون أحيانًا كضيوف، أو كـ(استثناءات)

بأسلوب بريء في المدرسة، تسأل "من أين أنت؟" رغم أن بعضعم لا يعرفون وطنًا غير السويد.

هكذا تنشأ دائرة مغلقة، لا يخرج منها أحد سالمًا: لا المجتمع السويدي الذي يخاف من (الآخر)، ولا المهاجر الذي لا يجد لنفسه مكانًا حقيقيًا. إن مكافحة التطرف لا تكون فقط عبر الأمن، بل عبر الاحتواء، والتعليم، والفرص المتكافئة، والاعتراف بأن للمهاجر – كما للسويدي – الحق في الإحساس بالكرامة والانتماء. وإن محاربة الإسلاموفوبيا لا تعني غضّ الطرف عن الأخطاء، بل تعني معاملة كل إنسان كفرد، لا كحامل لتهمة مسبقة.

صرامة القوانين وتعقّد المسارات : البيروقراطية

في السويد، البلد الذي يُضرب به المثل في النظام، لا يمكن لأحد أن ينكر أن الحياة تسير وفق آلية دقيقة ومدروسة. كل شيء له توقيته، ورقمه، وصيغته الرسمية. على الورق، يبدو هذا النظام مثاليًا، فالدولة لا تترك شيئًا للصدفة، ولا تسمح للفوضى أن تتسلل إلى شؤونها اليومية. لكن ما لا يُقال كثيرًا هو أن هذه الصرامة، التي تُبنى باسم العدالة والمساواة، قد تتحول إلى عبء ثقيل على الفرد العادي، خاصة على المهاجر الذي لا يزال يحاول فهم اللغة، الإشارات وخلفية النظام السويدي.

وجها البيروقراطية: الدقة والتعقيد

البيروقراطية في السويد ليست فاسدة كما في بعض البلدان، ولا فوضوية كما في أماكن أخرى، لكنها ثقيلة، بطيئة، واحيانا مُرهِقة، وخصوصًا لمن لا يملك (المفاتيح) الثقافية والاجتماعية لفهم كيفية التعامل معها.

كل معاملة تحتاج إلى تسجيل إلكتروني، وكل طلب يحتاج إلى استمارة، وكل استمارة بحاجة إلى مرفقات، وشهادات، وترجمات موثّقة، وخطابات رسمية. ثم تبدأ رحلة الانتظار ، في حالات كثيرة، يضطر الفرد إلى الانتظار أسابيع أو شهور للحصول على رد من جهة حكومية، لا فرق إن كان الطلب يتعلق بتجديد إقامة، أو الحصول على دعم سكن، أو تسجيل طفل في مدرسة، أو حتى فتح حساب مصرفي ،وإذا حدث خطأ صغير، حتى لو كان بسبب الجهة المعنية نفسها، تعود المعاملة إلى نقطة الصفر، ويُطلب منك البدء من جديد.

أنت لا تتعامل مع شخص... بل مع نظام

أحد أكبر التحديات التي تواجه الفرد العادي في السويد هي غياب المرونة البشرية. فأنت لا تتحدث إلى شخص معين وانما الى نظام الكتروني صارم فالموظف لايمكنه استخدام حكمه الشخصي، بل إن الموظف يتبع (القانون بالحرف) و لا يستطيع أن يساعدك خارج الإطار الرسمي، حتى وإن أراد؟ كل شيء يجب أن يكون مكتوبًا، مثبتًا، ومسجّلًا

وهنا، يشعر المهاجر خصوصًا أنه يُعامل كـ(ملف) لا كإنسان. لا مجال لشرح الظروف الشخصية، ولا فائدة من الحديث عن الاستثناءات. النظام لا يعرف العاطفة، ولا يتعاطف مع الروايات... بل يعرف فقط الكود الرقمي، والتاريخ المحدد، والصيغة المقررة.

القانون... يزداد تعقيدًا عامًا بعد عام (من كثرة الشروط ضاعت الحقوق)

في السنوات الأخيرة، شهدت السويد تحولات قانونية جذرية، خاصة في مجالات الهجرة، الإقامة، سوق العمل، والدعم الاجتماعي. ما كان يُعد يومًا ما مسارًا واضحًا نحو الاستقرار أصبح الآن متاهة من الشروط واللوائح والتقييمات المتغيرة. لم يعد الحصول على الإقامة الدائمة أمرًا روتينيًا، بل بات محفوفًا بعقبات قانونية وإدارية تتطلب من الفرد إثبات دخله الثابت، ارتباطه بسوق العمل، كفاءته اللغوية، وأحيانًا مدى "اندماجه" في المجتمع، وهو مفهوم فضفاض يتغير تفسيره حسب من ينظر إليه، قد يبدو الأمر للوهلة الأولى منطقيًا في سياق دولة تسعى إلى تنظيم أمورها الداخلية، لكن التعمق في التفاصيل يكشف واقعًا أكثر تعقيدًا، فالمهاجر، الذي يحمل معه أحلامه وآماله في حياة مستقرة وآمنة، يُفاجأ بشروط متزايدة تُضاف عامًا بعد عام، ما يجعل الإقامة أشبه بعقد مشروط لا يكتمل إلا بعد اجتياز سلسلة من الحواجز.

مثلا اللغة أصبحت أحد هذه الحواجز، لم تعد فقط وسيلة للتواصل، بل معيارًا للحكم على مدى (أهلية) الشخص للبقاء. تُطلب شهادات اللغة، ويتم التحقق من مستويات

الإتقان، وقد تُرفض طلبات الإقامة فقط بسبب نقص في درجات اختبار، بغض النظر عن سنوات العمل أو حجم المساهمة الاقتصادية.

أما العمل، فقد أصبح حجر الأساس. بدون عقد عمل دائم، أو على الأقل طويل الأجل وبشروط محددة، قد يُرفض الطلب، حتى وإن كان الشخص ملتزمًا وناجحًا في مجاله. والمفارقة أن سوق العمل ذاته مليء بالتحديات، خصوصًا للمهاجرين الذين يواجهون صعوبات في المعادلات الأكاديمية أو الاعتراف بالخبرات السابقة.

الدعم الاجتماعي، الذي لطالما شكّل ركيزة من ركائز دولة الرفاه، لم يعد في متناول الجميع كما كان. فالأهلية للحصول عليه أصبحت مرتبطة بمعايير دقيقة تتغير باستمرار. وقد يجد البعض أنفسهم محرومين من المساعدة في اللحظة التي يحتاجونها فيها أكثر، فقط لأن شرطًا جديدًا أُضيف للائحة دون سابق إنذار.

ولعل الأخطر من كل ذلك هو ما أصبح يُعرف بزيارات المراقبة، التي تقوم بها الجهات المعنية لمنازل الأشخاص الخاضعين لفحص الإقامة أو المساعدة. تدخلات غير متوقعة قد تحصل دون إذن أو تنبيه، بدعوى التحقق من العناوين أو الوضع العائلي. يشعر البعض أن هذه الإجراءات تتجاوز حدود الرقابة المشروعة لتتحول إلى انتهاك صريح للخصوصية والحريات الأساسية.

أصبح من المعتاد أن يُطلب من الأفراد إثبات مكان نومهم، أو علاقتهم بأفراد يعيشون معهم، أو حتى محتويات ثلاجتهم. هذه الزيارات، مهما حاولت الجهات تبريرها، تزرع الشك وتُشعر الإنسان بأنه موضع اتهام دائم، لا ضيف مرحب به في وطن جديد

ويبقى السؤال مفتوحًا: هل أصبح القانون وسيلة للحماية أم أداة للإقصاء؟ كما يقول المثل **(القانون إذا ضاق، خنق... وإذا اتسع، غرق)**

التشكيك والمصداقية

من أكثر ما يواجهه المهاجرون في السويد هو التشكيك المستمر في كفاءتهم ومصداقية مصادرهم المعرفية، هذا النوع من التشكك لا يرتبط فقط بمستوى التعليم أو المؤهلات العملية، بل يتسلل ليصبح معيارًا ثقافيًا غير معلن، حيث تُقيَّم جدارة الفرد بناءً على انتمائه العرقي أو خلفيته الثقافية. وهكذا، يُعامل المهاجر - مهما بلغ من تعليم أو خبرة - على أنه دائمًا في موقع (الآخر)، الذي يحتاج إلى إثبات مضاعف، والذي لا يُمنح الثقة بسهولة، خاصة إذا كان حديثه يتضمن انتقادات للمنظومة أو يعكس تجارب غير مريحة للوعي الجمعي.

ضمن هذا السياق، قد يُنظر إلى ما نقدمه في هذا الكتاب على أنه مجرد آراء شخصية أو معايشات فردية تفتقر إلى الأساس العلمي، غير أن هذا التقييم يغفل عن حقيقة أن التجربة الفردية في بيئة تمييز بنيوي هي نفسها انعكاس لبنية اجتماعية متكررة ومنتظمة ، فحين تتشابه تجارب الآلاف من الأفراد من خلفيات مهاجرة، وتتقاطع سردياتهم حول الإقصاء، والتهميش، والتمييز غير المباشر، فإننا لا نكون أمام حوادث عرضية، بل أمام نمط اجتماعي يستحق التحليل العلمي والاعتراف السياسي

ولتفنيد هذا التصور القائم على (تسفيه- الشهادة الذاتية للمهاجر)، نستند هنا إلى دراسة علمية موسعة أعدها الباحث أدريان غروغلوپو وزملاؤه بعنوان العنصرية البنيوية في السويد

وقد نُشرت هذه الدراسة في 2023، والتي اعتمدت على بيانات منهجية تمتد لقرابة عقدين

غروغلوپو، أ.، أورتيغا، إ.، مولينا، إ.، وفراهاني، ف ،العنصرية البنيوية في السويد: تأطير المواقف تجاه المهاجرين من خلال دراسة مقياس التنوع (2005-2022) ،مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 12، العدد 7، 2023، رقم المقالة

أفق الدراسة وأهميتها

اعتمدت الدراسة على بيانات ميدانية تم جمعها دوريًا من خلال (مقياس التنوع) الذي يُقيس المواقف الشعبية تجاه المهاجرين والتنوع الثقافي في السويد ،من خلال هذه البيانات، تمكن الباحثون من رصد تطور المواقف تجاه المهاجرين عبر الزمن، ومقارنة كيفية استقبالهم في مجالات متعددة مثل سوق العمل، التعليم، السكن، والخدمات العامة.

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تنقل النقاش من المستوى الخطابي العام إلى مستوى التحليل البنيوي، إذ تدرس ليس فقط (ما يُقال) عن المهاجرين، بل كيف تتشكل وتُعاد إنتاج المواقف تجاههم ضمن بنى السلطة والمعرفة والثقافة.

عنف غير مرئي وهيمنة ثقافية

أظهرت نتائج الدراسة أن العنصرية في السويد غالبًا ما تكون غير مباشرة أو غير مرئية، ولا تُمارس دائمًا عبر السلوك العنصري التقليدي أو التصريحات العلنية، بل تظهر من خلال أنظمة الفرز الاجتماعي والاقتصادي، مثل صعوبة دخول المهاجرين لسوق العمل، أو حصولهم على سكن لائق، أو تفاعلهم مع المؤسسات العامة.

كما كشفت الدراسة أن المهاجرين يُقبلون ضمن النظام الاجتماعي شرط أن يكونوا (تابعين) للثقافة السائدة، ويُنظر إلى مساهماتهم من خلال عدسة تفوق ثقافي ضمني، يضع النموذج السويدي كمقياس وحيد (للتحضر) و(النجاح) هذه الهيمنة الثقافية تُجبر المهاجر على إخفاء أو تعديل جوانب من هويته ليتماشى مع (المقبول)، وهو ما يؤدي إلى تآكل الذات والشعور بالاغتراب الداخلي حتى بعد سنوات طويلة من الإقامة.

المكان كرمز للإقصاء

أحد أبرز المحاور التي تناولتها الدراسة هو البُعد المكاني للتمييز، حيث يتجلى ذلك في تخطيط المدن السويدية وتقسيمها إلى (مناطق مهاجرين) مقابل (مناطق سويدية) هذه

الحدود غير المرئية تُرسّخ الفصل العرقي، وتخلق صورة نمطية عن الأحياء التي يقطنها مهاجرون بأنها أماكن للجريمة أو الفشل التعليمي، بغض النظر عن التنوع الحقيقي الموجود داخلها.

هذا التقسيم المكاني لا يؤثر فقط على جودة الحياة، بل ينعكس أيضًا على فرص العمل والتعليم والتفاعل المجتمعي، ويُعمّق من الإحساس بـ(الخارجية) التي يعيشها المهاجر يوميًا

الإعلام والمزاج الجماعي

أكدت الدراسة أيضًا على دور الإعلام في تعزيز أو مقاومة الصور النمطية. فعلى الرغم من وجود وسائل إعلام تقدمية تحاول نقل تجارب المهاجرين بشكل إنساني، إلا أن التغطية العامة تظل مشبعة بالتحيزات، حيث يتم ربط المهاجرين غالبًا بمواضيع الأمن والبطالة والعبء الاقتصادي، مما يرسّخ في اللاوعي الجمعي فكرة أن (الآخر) يشكل تهديدًا محتملاً

وبذلك، يُعاد إنتاج الرفض الاجتماعي على مستويات متعددة، حتى من دون نية مباشرة أو سياسات صريحة

تحولات الزمن والسياسة

أظهرت البيانات تغيرًا ملحوظًا في المواقف الشعبية، خصوصًا بعد أزمة اللاجئين في عام 2015. فقد تصاعدت الأصوات القومية، وظهرت أحزاب سياسية معادية للهجرة، مما أسهم في إعادة إنتاج سرديات الانقسام بين (نحن) و(هم)، حتى بعض التيارات التي كانت تُصنف على أنها "وسطية" أصبحت تستخدم خطابًا أكثر تحفظًا تجاه الهجرة، في محاولة لمجاراة الرأي العام أو كسب أصوات الناخبين.

وبينما استمرت بعض المؤسسات في دعم برامج الاندماج والتنوع، فقد ساد شعور عام لدى المهاجرين بأن المساحة المتاحة لهم للتعبير والانخراط تقلصت، سواء على المستوى الرمزي أو العملي.

إعادة تعريف الكفاءة والثقة

من بين أكثر الاستنتاجات عمقًا في الدراسة هو أن الكفاءة ، ليست مفهوماً موضوعيًا بالكامل، بل يُعاد تعريفها ضمن سياقات القوة والهيمنة، فالكفاءة في بيئة عمل أو في مؤسسة تعليمية لا تُقاس فقط بالخبرة أو التحصيل، بل تتأثر بالصورة النمطية التي يصبغ(يقاس) الشخص بها، وبالتالي، فإن المهاجر الذي يُشكك في كفاءته أو يُعامل بشك، لا يُعاني فقط من ظلم شخصي، بل يُستبعد ضمنيًا من دوائر الثقة التي تُشكل العمود الفقري لأي مجتمع ديمقراطي.

أن هذه الدراسة تعيد الاعتبار لأصوات المهاجرين أنفسهم، وتؤكد أن التجربة الشخصية ليست نقيضًا للعلم، بل جزء لا يتجزأ منه، عندما تُصاغ في إطار من التحليل والنقد والمساءلة البنيوية

بين الحيلة والنجاة: محاولات المهاجر الغش في النظام السويدي

رغم الصرامة القانونية والرقابة الرقمية التي تميّز النظام السويدي، لا يخلو الأمر من محاولات للتحايل والغش، يقوم بها بعض الأفراد من خلفيات مهاجرة، أملاً في تجاوز العقبات الإدارية أو تحسين أوضاعهم المعيشية او حتى احيانا الطمع في الحصول على منافع اضافية، تتنوّع هذه المحاولات: من تقديم معلومات غير دقيقة للحصول على دعم السكن أو المساعدات الاجتماعية، إلى تسجيل عناوين وهمية، أو إخفاء دخل إضافي، أو حتى الزواج الصوري لأغراض الإقامة

بعض هذه المحاولات تنبع من فهم سطحي للنظام أو من تأثير تجارب سابقة في بلدان اعتاد فيها الناس التحايل على مؤسسات لا تمنحهم حقوقهم بسهولة وأحيانًا يكون الدافع يائسًا؛ كرب أسرة فقد عمله، أو شاب مهدد بالترحيل، فيظن أن الخدعة الصغيرة ستنقذه

لكن النظام السويدي، وإن بدا بطيئًا، يمتلك أدوات دقيقة لاكتشاف الخلل، وعند انكشاف الغش، تكون العواقب قاسية: استرداد أموال، غرامات، إلغاء إقامات أو حتى السجن، وهنا تكمن المفارقة: حين يفقد البعض الثقة في عدالة النظام، يلجأون إلى سلوك يهدم فرصهم ، فالغش لا يحل المشكلة، بل يعمّقها، ويُغذّي الصور النمطية التي تُسيء للمجتمع المهاجر بأكمله

هذة المشكلات لا تقتصر على المهاجر فقط وانما حتى على ابناء الوطن من السوييدين انفسهم ولكن محاولات المهاجرين يسلط عليها الاعلام بشكل اوسع

من المهم التذكير بأن غالبية المهاجرين يعيشون بصدق ويجتهدون لتحقيق الاندماج، لكن قلة صغيرة تتسبب في تشويه الصورة العامة، هذه الصورة تعيد إنتاج فجوة الثقة بين المهاجر والمجتمع، وتجعله في موقف الدفاع الدائم، حتى عندما لا يرتكب خطأ.

الحل لا يكون فقط في التشديد والمراقبة والعقوبة، بل في تعزيز التعليم والتوعية، وفهم أن النظام السويدي نفسه يقوم على الثقة المتبادلة، لا على الريبة المستمرة، عندما يشعر الناس أن المؤسسات عادلة وهناك نظام متكامل ودقيق، تقلّ الرغبة في التحايل، ويقوى الإحساس بالمواطنة الحقيقية.

المرأة المهاجرة: بين الاستقلال والضغوط الثقافية في السويد

المرأة المهاجرة في السويد ليست مجرد رقم في إحصاءات الهجرة، ولا عنوانًا في تقارير الاندماج. هي إنسانة تحمل في روحها تجربة مركبة، مؤلمة أحيانًا، مُلهِمة غالبًا. هي أم وزوجة وعاملة، وهي أيضًا صامتة أحيانًا، وثائرة في الداخل، وشاعرة بكل ما يُقال عنها... وما لا يُقال.

نحن هنا لا نقرر عنها، ولا نتكلم نيابة عنها، فقط نمنحها الصفحة البيضاء، لتروي كيف كانت البداية وكيف تصنع، كل يوم، بداية جديدة في خضم رحلة الهجرة الطويلة، حيث تتغير الجغرافيا واللغة والعادات، تقف المرأة المهاجرة في قلب العاصفة، ممزقة بين عالمين، بين ما تركته خلفها وما ينتظرها أمامها، ليست الهجرة بالنسبة لها مجرد انتقال من بلد إلى بلد، بل هي خوض معركة داخلية مع الذات، ومحاولة شاقة لإعادة تعريف الهوية في أرض لا تشبه ما اعتادت عليه.

عندما تطأ قدماها أرض السويد، تجد نفسها في فضاء جديد، منفتح، تحكمه قوانين المساواة وحقوق الفرد، حيث تُعامل المرأة في الظاهر على قدم المساواة مع الرجل، ويُنتظر منها أن تكون مستقلة، حرة، قادرة على اتخاذ قراراتها بنفسها، دون وصاية أو قيد. ولكن هذا الواقع – مهما بدا جاذبًا – يصطدم في كثير من الأحيان بجدران غير مرئية حملتها معها من ماضيها، من ثقافتها، ومن مجتمعها الأصلي.

العبور إلى المجهول

قد تصل المرأة إلى السويد كلاجئة، باحثة عن الأمان، هاربة من خطر جسدي أو اجتماعي، أو ترافق زوجها وأطفالها في هجرة جماعية، أو تأتي وحدها، بدافع الدراسة أو العمل. في كل الحالات، يكون حضورها محاطًا بتوقعات معقدة: من المجتمع السويدي، من عائلتها ومن نفسها.

في مجتمعاتها الأصلية، ربما كانت الأدوار واضحة: هي الزوجة، الأم، المُعيلة أحيانًا، ولكن في السويد، تتغير ملامح هذه الأدوار. يُطلب منها أن تندمج، أن تعمل، أن تتعلم اللغة، أن تشارك، أن تساهم في بناء المجتمع الجديد، لكن كل ذلك يجري في ظل ثقلٍ ثقافي تراكم على كتفيها لسنوات.

بعض النساء يجدن في السويد فرصة حياة جديدة. فرصة للتحرر من أنظمة اجتماعية كانت تكبل أحلامهن، من قيود فرضت عليهن أدوارًا محددة دون خيار. تعلُّم اللغة، الدراسة، الحصول على وظيفة، اتخاذ القرارات بشكل مستقل... كل هذه التجارب تمثل لهن ولادة جديدة .

الحرية التي تُخيف أحيانًا

لكن الحرية ليست سهلة دائمًا، ففي الغربة، لا تأتي الحرية وحدها، بل يرافقها وحدة شديدة، وضغوط نفسية، وشعور بالذنب أحيانًا. فالمرأة التي تتعلم كيف تقول (لا)، في مجتمع علّمها الطاعة، تواجه أحيانًا تمزقًا داخليًا بين صوتها الجديد، وصدى تربيتها القديمة.

الكثير من النساء المهاجرات يُواجهن رفضًا أو مقاومة نوعا ما من أفراد أسرهن أو أزواجهن، خصوصًا عندما تبدأ استقلاليتهن بالنمو. قد يُنظر إليهن كـ(خارجات عن العرف)، أو (متأثرات بالمجتمع الغربي)، ويُخشى أن (يفسدن) القيم العائلية أو يفقدن هويتهن.

وقد تتحول هذه التوترات إلى نزاعات داخل الأسرة، أو حتى إلى أشكال من العنف الصامت أو المعلن، إذ يشعر بعض الرجال بأنهم يفقدون السيطرة، ويخافون من تغير موازين القوة التي كانت في صالحهم لسنوات. وهنا، تتجلى واحدة من أصعب معادلات الهجرة: حين تتصادم قيم المجتمع الجديد مع منظومة الأسرة التقليدية، يكون الثمن غالبًا باهظًا، وتكون المرأة في مركز العاصفة.

بين نظرتين... واتهامين

ولأنها في منطقة وسطى بين ثقافتين، تجد المرأة المهاجرة نفسها أحيانًا موضع اتهام مزدوج ،من جهة، تتعرض للتمييز من قبل جزء من المجتمع السويدي، الذي قد ينظر إليها كـ"ضحية ثقافة رجعية" أو كـ"امرأة تابعة"، وتُختزل في صورة نمطية تفتقر إلى التعقيد ،ومن جهة أخرى، تُتهم من مجتمعها الأصلي، في المهجر، بأنها تتخلى عن "أصلها"، و"تتماشى مع الغرب"و"تفقد هويتها".

هكذا، تُصبح المراة ضحية لصراع رمزي بين عالمين، يُطالبها كلٌّ منهما بالولاء الكامل، فتعيش تمزقًا عاطفيًا، يُرهق روحها ويؤثر على ثقتها بنفسها ، البعض ينسحب ويصمت، البعض يتمرد، والبعض يجد طريقًا ثالثًا، أكثر توازنًا، لكنه محفوف بالصبر والتحديات.

قوة ناعمة تبني من الهامش

رغم هذه التحديات، هناك نساء مهاجرات استطعن أن يُعدن تشكيل وجودهن، لا فقط لأنفسهن، بل لأسرهن ومجتمعاتهن. هناك من أكملت تعليمها، ومن أسست مشروعًا صغيرًا، ومن أصبحت مرشدة لغوية أو مربية أو طبيبة ، بعضهن أصبحن صوتًا في السياسة المحلية، أو في منظمات المجتمع المدني، يدافعن عن حقوق المرأة والمساواة

هؤلاء النسوة لا يطلبن امتيازًا، بل فقط مساحة عادلة لعيش حياة كريمة، تُحترم فيها خياراتهن، ويُسمع فيها صوتهن، وتُفهم خلفيتهن دون ازدراء أو استعلاء

المرأة المهاجرة، حين تُمنح الأدوات والفرصة، تخلق معجزة صغيرة كل يوم. فهي تتعلم لغة جديدة، تربي أبناءها بين ثقافتين، تُقاوم النظرة النمطية، وتبني نفسها من جديد وسط غربة قد تكون خانقة.

الحجاب... بين الهوية والوصمة

في السويد، حيث تُرفع شعارات الحرية الفردية والتعددية الثقافية، كان يُفترض أن تكون المرأة المسلمة المحجبة قادرة على ممارسة حقها في التعبير عن هويتها دون خوف أو تردد. لكن الواقع، في كثير من الأحيان، يسير في اتجاه آخر.

الحجاب، بالنسبة للعديد من النساء المهاجرات، ليس فقط قطعة قماش تغطي الرأس، بل هو جزء من قناعة داخلية وهوية شخصية وروحية تشكّلت عبر سنوات، وربما عبر أجيال. ومع ذلك، ما إن تضع المرأة حجابها في الفضاء العام السويدي، حتى تبدأ نظرات الفضول، والريبة، وأحيانًا الازدراء.

تشير الكثير من النساء المحجبات إلى أنهن يشعرن بأن الحجاب يجعل منهن مرئيات أكثر من اللازم، وغريبات حتى وإن وُلدن في السويد ،يتحول الحجاب، رغم بساطته، إلى لافتة ثقافية يُقرأ من خلالها كل شيء آخر: مدى اندماجها، مستوى تعليمها، ولاءها الثقافي، وحتى نواياها السياسية.

تقول الشاعرة العراقية نازك الملائكة

قد علّمتني الحياةُ أن أكونَ قوية،
وأن لا أنزع وردتي إذا ضاقت العيون

وقد أكدت العديد من الدراسات والتقارير الحقوقية أن المحجبات أكثر عرضة للتعرض للمضايقات في الأماكن العامة، مثل المواصلات، المتاجر، وأحيانًا المدارس والجامعات. بعضها لفظي: تعليقات ساخرة، أو جمل مثل (عودي إلى بلدك)، وبعضها جسدي:

محاولات لنزع الحجاب، أو الاعتداء المباشر، كما حدث في عدة مدن سويدية خلال السنوات الأخيرة ،هذه الاعتداءات لا تأتي فقط من متطرفين أو من أصحاب خلفيات عنصرية، بل أحيانًا تصدر عن أفراد (عاديين)، يحملون صورة نمطية بأن الحجاب رمز للقمع أو للرجعية أو حتى للتهديد ،وهنا تكمن المعضلة ،حين تتحول ممارسة شخصية دينية إلى عبء اجتماعي على المرأة، تتحول الحرية إلى اختبار قاسٍ.

بعض المحجبات قررن نزع الحجاب خوفًا على سلامتهن أو من أجل الحصول على عمل، والبعض الآخر تمسكن به رغم كل شيء، وقررن أن يكنّ في وجه العاصفة. بين هؤلاء وأولئك، هناك نساء كثيرات يعشن في منطقة رمادية، يتأرجحن بين الرغبة في الأمان، والرغبة في البقاء وفيّات لذواتهن.

وتقول إحدى النساء في حديثها لكاتب هذا الكتاب
كنت أظن أنني حين أتعلم اللغة وأدرس وأعمل، سأُعامل مثل الجميع... لكن حجاب رأسي كان دائمًا أسبق من كل إنجازاتي

وهذا يطرح سؤالًا كبيرًا: هل يمكن للمرأة المسلمة أن تكون مرئية دون أن تُختزل؟ وأن تكون مختلفة دون أن تُعاقَب؟

في السويد، الجدل حول الحجاب مستمر، في الإعلام، وفي السياسة، وأحيانًا داخل المدارس ومؤسسات الدولة. بين من يراه رمزًا لقمع المرأة، ومن تراه رمزًا للحرية الروحية، تقف المرأة المحجبة وحدها في المنتصف، تُسائل الجميع: لماذا لا أُعامل كإنسانة أولًا؟

ورغم كل هذه التحديات، فإن كثيرًا من المحجبات أصبحن نماذج ناجحة وفاعلة في المجتمع السويدي، في الطب، التعليم، السياسة، والإعلام. وكأنهن يردن على النظرات المشككة بوجودهن الحقيقي بصوت ثابت يقول حجابي ليس حاجزا بل هو جسر بيني وبين الاخرين.

في النهاية، الحجاب ليس اختبارًا لولاء المرأة، ولا مقياسًا لمدى اندماجها. هو خيار، وحق، وتعبير شخصي يجب أن يُحترم في مجتمع يُفترض أنه يقدّس الحرية الفردية، فالحرية الحقيقة كما يقول نيلسون مانديلا(هي ان يكون لك الحق في أن تكون كما أنت ، لا كما يريدوك ألاخرون أن تكون).

أصوات من قلب التجربة

في جلسات الحديث التي جمعت كاتب هذا الكتاب بعدد من النساء المهاجرات، برزت عبارات تختصر التجربة كلها

تعلمت أن أقول لا... دون أن أرتجف

زوجي تغير بعد وصولنا إلى السويد... صارت كلمتي تُزعجه

أشعر بالذنب تجاه أمي... لكنها لا تفهم حياتي هنا

ابنتي تلبس ما تريد... لكني أخاف عليها من نظرة مجتمعنا

كل واحدة من هذه العبارات تحمل قصة كاملة، وحياة ممتدة بين الجدران، تتأرجح بين الحلم والخوف، بين القوة والخذلان.

العلاقات العاطفية والزواج في المهجر: حب تحت سقف ذو ثقافتين

حين يهاجر الإنسان إلى بلد جديد، لا يترك خلفه وطنه فقط، بل يرحل أيضًا بكل ما فيه من مفاهيم عن الحب، والعائلة، والعلاقات، والصداقة، والوفاء. تنتقل هذه المفاهيم إلى أرض جديدة، مختلفة، تُعيد تشكيلها أو تختبرها، وأحيانًا تُفككها بالكامل

يقول ادوار سعيد

الهجرة ليست فقط عبور حدود جغرافية، بل هي عبور مؤلم في مفاهيمنا عن الحب،والبيت،والانتماء

في السويد، حيث الحرية الشخصية أسمى من أي رابط جماعي، يكتشف المهاجر أن الحب لم يعد كما عرفه، وأن الزواج لم يعد كما صُوّر له في مجتمعه الأول.ففي الوطن، للزواج طقوس تبدأ من الأهل، وتدور حول (المجتمع)، ويُنظر إليه على أنه خطوة نحو الاستقرار والهوية الاجتماعية. أما في المهجر، فإن الزواج يُصبح في كثير من الحالات خيارًا فرديًا بالكامل، وغالبًا ما يكون نتيجة قصة حب، أو رغبة في الاستقلال، أو حتى لأسباب قانونية (كالحصول على إقامة أو استقرار إداري).

بعض المهاجرين يصلون إلى السويد وهم متزوجون، يحملون معهم زواجًا تقليديًا اختبرته الغربة، وعرّته أحيانًا من المجاملات. البعض الآخر يتزوجون بعد سنوات من العيش في السويد، ويتغيّر مفهومهم للزواج بشكل كبير، حيث تُصبح العلاقة أفقية أكثر من كونها رأسية، وتُبنى على الحوار لا السلطة.

الزواج المختلط: بين الانفتاح والصراع

من أبرز الظواهر التي تنتج عن الهجرة هي الزواج المختلط، أي الارتباط بين مهاجر/ة وسويدي/ة أو شريك من ثقافة مختلفة تمامًا، هذه العلاقات تحمل وعودًا جميلة بالبناء فوق الاختلاف، لكنها غالبًا ما تُختبر بقسوة أمام تفاصيل الحياة اليومية.

في البداية، قد يكون الحب كافيًا لتخطي الفروقات، لكن مع الوقت، تظهر الأسئلة الثقيلة من نحن؟ ما اللغة التي نتحدث بها مع أطفالنا؟ ما هي قيمنا المشتركة؟ هل ما مهم لك هو كما هو مهم لي؟

يقول شاب عربي مهاجر متزوج من فتاة سويدية (في البداية، كنا نضحك على اختلافاتنا، الآن نختلف حولها وندقق بالتفاصيل) ،وقد تتفاقم الخلافات حين يدخل الدين على الخط، أو حين يُطلب من أحد الطرفين تقديم (تنازلات) لصالح الآخر.،المرأة المسلمة التي تعيش مع شريك لا يفهم دلالة العبادات اليومية ،هذا الاختيار، قد تجد نفسها في موقع الدفاع الدائم ونفس الحال الرجل القادم من مجتمع يربط الأنوثة بطقوس معينة، قد يجد صعوبة في فهم استقلالية المرأة السويدية

لكن في المقابل، هناك قصص نجاح مذهلة. هناك من استطاعوا أن يبنوا بيوتهم على الاحترام، والتفاهم، والقبول دون تغيير الآخر، وهؤلاء يكونون غالبًا ممن اختاروا الحوار طريقًا، وتخلوا عن الحاجة لفرض الذات.

الجيل الثاني للمهاجرين... حب خارج حسابات العائلة

أبناء المهاجرين، ممن وُلدوا أو نشأوا في السويد، يعيشون حالة أكثر تعقيدًا فهم لا يحملون مفاهيم الحب والزواج من أوطان آبائهم فقط، بل يتأثرون أيضًا بالمجتمع السويدي الذي يُشجع على الحرية الفردية، والتجربة، والعلاقات غير الرسمية.

في الوقت الذي يُشجعهم المجتمع المدرسي والإعلامي على الحب والاكتشاف، قد يواجهون في بيوتهم قواعد صارمة وتوقعات محافظة فمثلا فتاة من الجيل الثاني قد تقع في الحب، لكنها لا تجرؤ على الحديث عنه في المنزل. شاب ينخرط في علاقة، لكنه يُداريها خوفًا من نظرة مجتمعه الصغير.

هذه الهوة تولّد توترًا داخليًا كبيرًا، وتمزّقًا بين الولاء للعائلة، والرغبة في اختيار طريق القلب. وبعض هؤلاء الشباب ممكن ان ينتهي بهم الأمر إلى زيجات سرية، أو علاقات فاشلة، أو حتى انقطاع عن كلا الطرفين.

العزوبية الطويلة... بين الاختيار والظرف

كثير من المهاجرين، خصوصًا من النساء، يعشن حياة عزوبية طويلة في السويد، إما بسبب قلة الخيارات المتوافقة ثقافيًا، أو بسبب الرغبة في الاستقلال، أو خوفًا من تكرار تجربة زواج فاشل

وبينما يُنظر إلى العزوبية في السويد كحالة طبيعية، تُواجه المرأة المهاجرة أحيانًا بوصم أو نظرة مختلفة من مجتمعها الأصلي، وكأن عدم الزواج يُقلل من مكانتها أو يُضعف هويتها

الزواج لأسباب إدارية... بين الشك والحاجة

لا يمكن إغفال ظاهرة الزواج من أجل الإقامة أو الجنسية، والتي تنتشر بصمت داخل المجتمعات المهاجرة. بعضها يبدأ كزواج مصلحة صريح، وبعضها يتحول لاحقًا إلى علاقة حقيقية، لكن كثيرًا منها ينتهي بالفشل، أو حتى بالابتزاز العاطفي والقانوني.

الطرف السويدي قد يشعر أنه يُستخدم، والطرف المهاجر قد يجد نفسه تحت رحمة شروط لم يكن مستعدًا لها. وفي النهاية، الخاسر الحقيقي هو المفهوم الأعمق للزواج: أن يكون شراكة إنسانية لا صفقة قانونية.

تبدأ القصة أحيانًا بلقاء عابر في مصلحة الهجرة أو عبر مواقع التعارف، لكن سرعان ما يتبدد الوهم أمام واقع ثقيل: اختلاف اللغة، صعوبة التواصل، تفاوت القيم، وانعدام النية الحقيقية للاستمرار،

وقد يشعر الطرف المستغل في الامر لاحقًا بأنه لم يكن محبوبًا بصدق، بل كان مجرد وسيلة للحصول على أوراق رسمية، فيلجأ إلى إنهاء العلاقة أو حتى التبليغ عن الطرف الآخر، ما قد يؤدي إلى سحب الإقامة أو الترحيل.

وفي الطرف الآخر، قد يُستغل المهاجر نفسيًا أو ماليًا، فيُطلب منه دفع مبالغ مقابل الزواج أو العيش في علاقة غير متوازنة خوفًا من فقدان أوراقه .
هذا النوع من الزواج لا يجرح فقط القلوب، بل يهدم الثقة بين الثقافات، ويزيد من الصور النمطية التي تلاحق المهاجرين لعقود

هل للحب مستقبل في الغربة؟

رغم كل ما ذُكر، تظل قصص الحب في المهجر حيّة، ومليئة بالتحدي والجمال ،فالحب حين يكون حقيقيًا، يستطيع أن يتجاوز الجنسية، واللغة، لكنه بحاجة إلى وعي، وصبر، وإرادة لبناء شيء مشترك لا تتعارض مع الذات ، وإذا كانت الغربة تُرهق المشاعر أحيانًا، فهي أيضًا تُصفّيها. وتُعلّم الإنسان أن العلاقة الناجحة لا تُبنى على الهوية فقط، بل على الصدق، والاحترام، والقبول المتبادل

الحب في الغربة ليس مستحيلًا... لكنه يحتاج إلى شجاعة مضاعفة، وعقل واعٍ، وقلب لا يخاف من أن يكون مختلفًا ، في السويد، قد يكون الطريق إلى الحب أطول، لكنه ليس مستحيلاً. المهم هو ألا يُفرض عليك شكل العلاقة، ولا تُسجن في قالب، ولا تتنازل عن جوهرك

وإنّي لَأَهوى الغربةَ إن كنتِ فيها،
فما الوطنُ إلّا حيثُ يكونُ الحبيبُ

المجتمع المدني والمشاركة السياسية للمهاجرين في السويد

ينصّ الدستور السويدي (القوانين الأساسية الأربعة) على أن الديمقراطية التمثيلية تقوم على مبدأ المساواة والمشاركة، ويمنح المقيم الدائم بعد مرور ثلاث سنوات حق التصويت في الانتخابات البلدية والإقليمية، حتى إن لم يكن حاصلًا على الجنسية السويدية. هذا الانفتاح القانوني منح المهاجرين مدخلًا مبكرًا للمشاركة السياسية، رغم التحديات الثقافية واللغوية والاجتماعية التي تواجههم. لكن الصورة ليست متجانسة، فبين من اندمجوا فعليًا في الحياة المدنية والسياسية، ومن ظلوا على هامشها، هناك واقع معقّد متعدد الطبقات

مشاركة المهاجرون في الانتخابات البلدية يظهر بشكل واضح في أحياء مثل روزينغورد في مالمو أو رينكبي في ستوكهولم، حيث يشكل المهاجرون الأغلبية السكانية. في هذه المناطق، أصبحت الحملات الانتخابية تُوجَّه بلغات مختلفة، وتُستخدم فيها رموز ثقافية تعبّر عن التنوع، ويُدعى فيها الناشطون من خلفيات مهاجرة للحديث عن القضايا المحلية كالإسكان، والتعليم، والأمان.

في انتخابات 2018، أظهرت البيانات أن نسبة المشاركة في الأحياء ذات الأغلبية المهاجرة كانت أقل من المعدل الوطني، لكنها بدأت بالارتفاع بشكل طفيف، نتيجة جهود منظمات المجتمع المدني التي تنظم ورشات لتوعية المهاجرين بأهمية التصويت، وتشرح لهم صلاحيات المجالس المحلية، وتساعدهم على فهم البرامج الحزبية

في انتخابات 11 سبتمبر 2022 العامة في السويد، شهدت الساحة السياسية تحولات بارزة أثرت على تمثيل المهاجرين ودورهم في المجتمع المدني والمشاركة السياسية ،حصل حزب الديمقراطيين السويديين، المعروف بمواقفه المناهضة للهجرة، على نسبة تقريبا 20.5% من الأصوات، ليصبح بذلك ثاني أكبر حزب في البرلمان السويدي، محققًا زيادة ملحوظة مقارنة بالانتخابات السابقة ،هذا الصعود لحزب يركز بشكل كبير على قضايا الهجرة والاندماج أثار تساؤلات حول تأثير ذلك على المجتمعات المهاجرة في السويد

من جهة أخرى، برز حزب النيانس،الذي تأسس حديثًا ويركز على قضايا المسلمين والمهاجرين، بحصولة على نسبة تقريبا 0.44 من الاصوات على المستوى الوطني ، لكن في بعض المناطق ذات الكثافة السكانية المهاجرة، مثل روسينغورد في مالمو ورينكيبي في ستوكهولم، وصلت نسبة التصويت للحزب إلى أكثر من 25% من اصوات الناخبين

هذه النتائج تعكس تزايد اهتمام المهاجرين بالمشاركة السياسية، سواء من خلال دعم أحزاب تعبر عن قضاياهم مباشرة، أو عبر الانخراط في الأحزاب التقليدية للتأثير على سياساتها من الداخل ،ورغم وجود عدة مبادرات من بعض الاحزاب لجلب المهاجرين للمشاركة السياسية في احزابهم الا أن هذه المبادرات لم تفلح بغلق الفجوة بين المجتمع السياسي السويدي الرسمي، والمهاجرين الجدد أو غير المتجنسين، ، لا يزال الكثير يرى في هذا الأمر محاولة شكلية، تُستثمر في الانتخابات وتُنسى بعدها ، حيث يشعر كثيرون أن الأحزاب تستخدمهم في الصور والحملات، لكنها لا تعطيهم مواقع اتخاذ القرار. كثير من الجمعيات التي يقودها مهاجرون لا تحظى بالتمويل المستدام، وتعاني من ضعف البنية التنظيمية، ويصعب عليها التنافس مع الجمعيات الكبرى ذات العلاقات الراسخة مع البلديات

كل هذه النماذج تشير إلى أن المهاجرين لا يفتقرون للرغبة في المشاركة، لكن ما يحتاجونه هو تهيئة البيئة المؤسسية واللغوية والثقافية المناسبة. إذ أن الكثيرين لا يعرفون من أين يبدأون، أو يخافون من الوقوع في الخطأ الإداري، أو يشعرون أن أصواتهم لن تُؤخذ على محمل الجد.

التقارب مع المجتمع المدني السويدي الرسمي ليس مستحيلًا، لكنه يتطلب من الطرفين جهدًا. من جهة المهاجرين، مطلوب بناء قدرات إدارية، وفهم ثقافة العمل الجماعي والمحاسبة والشفافية. ومن جهة المؤسسات، مطلوب التخلي عن النظرة الفوقية، والانتقال من سياسة (التمثيل الرمزي) إلى (التمكين الحقيقي)

وبالمقابل، برزت بعض التجمعات اليمينية التي روجت لفكرة أن مشاركة المهاجرين في السياسة تهدد (الهوية السويدية)، وأن النظام الديمقراطي يُستخدم لإعادة تشكيل القيم الثقافية، خصوصًا في قضايا تتعلق بالدين، والتعليم، والعائلة. هذا الصراع لا يزال محتدمًا في وسائل الإعلام، ويمثل تحديًا حقيقيًا للمهاجرين الراغبين بالمشاركة دون أن يُحمَّلوا بأجندات مسبقة.

أحد أبرز الأمثلة على هذا التحدي كان في الحملة الانتخابية للانتخابات البلدية عام 2022، حين تَعرّض عدد من المرشحين من أصول مهاجرة لهجوم شخصي عبر وسائل التواصل، وتم التشكيك في ولائهم أو نواياهم، فقط لأنهم من خلفيات (غير سويدية) هذا الواقع يؤكد أن المشاركة ليست فقط حقًا، بل معركة أيضًا، تتطلب وعيًا وثقة بالنفس وصمودًا في وجه العنصرية والتهميش

المهاجرون في الإعلام السويدي

في بلدٍ كالسّويد، حيث تحظى حرية التعبير والتعددية الثقافية بمكانة عالية في الخطاب الرسمي، كان من الطبيعي أن يُنتظر من الإعلام أن يعكس هذه القيم بعدالة واتزان. لكن الواقع يُظهر أن المهاجرين، رغم مرور عقود على وجودهم في النسيج الاجتماعي السويدي، لا يزالون يُقدَّمون في وسائل الإعلام بصورٍ متناقضة، أحيانًا متوازنة، وأغلب الأحيان بصورة ناقصة

المهاجر في الإعلام ليس دائمًا ذلك الإنسان الذي له قصة، وبيت، وعائلة، وماضٍ ومستقبل، بل كثيرًا ما يُختزل في أرقام إحصائية، أو عنوان قضية، أو جزء من تقرير خبري عن الجريمة أو الفشل في الاندماج أو استنزاف النظام الاجتماعي، يُصبح المهاجر (الآخر) الذي يُشار إليه واشرنا الية في العديد من المرات والذي يُفترض أن يبرر وجوده ويشرح نواياه في كل ظهور

إن المتابع لوسائل الإعلام السويدية المكتوبة والمرئية والمسموعة على مدى السنوات العشرين الأخيرة يلاحظ أن صورة المهاجر تخضع لموجات من التأثيرات: في أوقات السلم والاستقرار، تُفتح النوافذ لنماذج ناجحة وقصص مؤثرة، أما في لحظات الأزمات الاقتصادية، أو بعد أعمال عنف تُنسب إلى مهاجرين، تتبدل النبرة، ويشتد التركيز على السلبيات والمخاطر

اللغة المستخدمة في الصحافة تلعب دورًا بالغ التأثير في تشكيل الصورة. فبدلاً من الحديث عن (مواطن من أصول مهاجرة) يُستخدم أحيانًا مصطلح (أجنبي) أو (من أصول غير أوروبية)، وهي تعبيرات تعزز الفصل النفسي بين (نحن) و(هم)، هذه الثنائية لا تغيب حتى في تقارير يفترض أن تكون حيادية، حيث تُربط الأحياء التي يسكنها المهاجرون بمصطلحات مثل (المناطق المهمشة) أو (المناطق الخطرة)، ويُصبح المهاجر رمزًا لفشل السياسات، أو تهديدًا للهوية السويدية، دون أن يُمنح الحق في رواية قصته الخاصة

مثال بسيط

حين تُربط قضايا مثل غسيل الأموال، التهرب الضريبي، أو الجريمة المنظمة في الإعلام السويدي بـ(مطاعم الكباب أو الفلافل)، فإن الرسالة الرمزية تتجاوز الخبر نفسه، إذ تُصبح الأكلة الشرقية البسيطة، التي تمثل روح ثقافة مهاجرة ونجاحًا بسيطًا في ريادة الأعمال، رمزًا سلبيًا يُستَعمل ضمنيًا للإشارة إلى (الآخر)

وهنا تكمن الخطورة: فالمتلقي لا يقرأ فقط ما هو مكتوب، بل يفكك الرموز الثقافية التي تترسّخ في اللاوعي ، وكلما تكررت هذه الإشارات، حتى بشكل غير مباشر، ترسّخ الانطباع بأن وجود المهاجر مقرون بـ(الفساد)، أو (التحايل)، أو (التهديد).

ولو كان الأمر عن مطعم بيتزا أو كافيه سويدي وُجهت له نفس التهم، لما استُخدمت الكلمة بنفس التأثير الإعلامي، ذلك لأن الرمز الثقافي ليس محايدًا، بل يُستخدم كوسيلة لتعزيز الانقسام بين (نحن) و(هم) والأسوأ أن هذه الأخبار غالبًا لا تُقابل بتغطيات إيجابية عن نفس الفئة، لا تُذكر قصص المهاجرين الذين يديرون مطاعم نظيفة، ناجحة، توظف سويديين، وتدفع ضرائبها بانتظام. لذا، فإن المعركة ليست مع المطاعم، بل مع لغة السرد التي تُلصق التهمة بجماعة كاملة من خلال مثال واحد.

لكن لا يمكن إنكار بعض التحولات الإيجابية التي بدأت تتشكل، وإن ببطء. فقد أصبح هناك في العقد الأخير عدد من المهاجرين الذين تمكنوا من دخول المؤسسات الإعلامية الكبرى، كصحفيين، ومحررين، ومقدمي برامج. بعضهم جاء من خلفيات شرق أوسطية، وبدأوا في طرح رؤى جديدة تسلط الضوء على الحياة اليومية للمهاجر، ليس من منظور الشفقة أو الاتهام، بل من باب الإنسان الذي يسعى لبناء حياة جديدة.

ظهر أيضًا جيل جديد من المهاجرين الشباب الذين لجأوا إلى وسائل الإعلام البديلة، كمنصات الإنترنت والبودكاست وقنوات اليوتيوب، للتعبير عن أنفسهم، هذه الوسائل

منحتهم صوتًا مستقلاً، غير مرهون بالمؤسسات التقليدية، فبدأت تظهر قصص نجاح، وأفلام قصيرة، ومشاريع إعلامية تقدم وجهاً آخر للهجرة، وجهاً إنسانياً مليئاً بالكفاح والكرامة والأمل، ومع ذلك، لا تزال الصورة السلبية هي السائدة في التغطيات الإخبارية اليومية. فحين يرتكب مهاجر جريمة، يُربط ذلك بخلفيته الثقافية أو الدينية. بينما إذا ارتكب نفس الفعل شخص سويدي، يُعزى الأمر إلى (ظروف شخصية فردية) أو (أزمة نفسية). هذه الازدواجية تُشعر المهاجر بأنه متهم حتى يثبت العكس، وتزرع في وعي الرأي العام نوعًا من الحذر، إن لم نقل الخوف، من كل ما هو (مختلف).

ولعلّ الأهم من الصورة الإعلامية هو تأثيرها العملي على حياة المهاجرين. حين يُربط وجودهم بالخطر أو العبء، تتشكل لديهم مشاعر العزلة ، ويشعرون أنهم مطالبون بالدفاع عن أنفسهم، لا بالمشاركة بحرية. كما يتأثر بذلك الشباب من الجيل الثاني، الذين يُولدون هنا، ويتحدثون السويدية بطلاقة، لكنهم يُعاملون أحيانًا كمهاجرين أو قادميين(جدد)، لأن الإعلام يرفض الاعتراف بانتمائهم الكامل للمجتمع.

وأذا كانت مسؤولية الإعلام لا تقتصر على نقل الأحداث، بل على كيفية تقديمها، ومن يرويها، ومن يُمنح فرصة التفسير والتعليق. في العديد من البرامج الحوارية والتقارير الخاصة، يُستضاف مختصون وخبراء، لكن قلّما يكون بينهم مهاجر يتحدث عن تجربته، كأن وجوده غير كافٍ لتمثيل نفسه. وهذا النوع من الإقصاء الرمزي يُعزز التهميش بدلًا من تجاوزه.

من جهة أخرى، بدأنا نرى في السنوات الأخيرة محاولات لإنتاج دراما سويدية تُظهر شخصيات من أصول مهاجرة، ليس فقط كضحايا أو جانحين، بل كبشر طبيعيين، يعملون، يحبون، يخطئون، ويضحكون. هذه الأعمال لا تزال محدودة، لكنها تُعد خطوات مهمة نحو تطبيع الوجود المهاجر في الوعي الجماعي السويدي.

في قلب كل ذلك، يبقى السؤال: هل يمكن للإعلام أن يكون أداة للدمج بدلًا من أداة للفصل؟ هل يمكن أن يُعاد تشكيل الخطاب الإعلامي ليُصبح جسرًا بين الثقافات، لا مرآة

للشكوك والصراعات؟ الإجابة ليست بسيطة، لكنها تبدأ من الاعتراف بأن الصورة الحالية غير متوازنة، وأن تصحيحها لا يتطلب فقط تغيير المصطلحات، بل تغيير من يُمسك بالقلم أو بالكاميرا

المهاجرون أنفسهم عليهم أيضًا مسؤولية في تغيير هذه الصورة. فالصمت يُفسح المجال للآخرين كي يتحدثوا نيابة عنهم، وفي كثير من الأحيان، لا يكون حديثًا منصفًا. هناك حاجة ملحة لمزيد من الوجوه المهاجرة في الأخبار، في الأعمدة الصحفية، في إدارة التحرير، وفي فرق الإعداد. ليس من باب (الزينة الثقافية)، بل من باب العدالة التمثيلية، التمثيل في الإعلام لا يعني وضع صورة شاب داكن البشرة في واجهة الموقع، بل أن يكون لهذا الشاب رأي، وصوت، وتأثير على المحتوى ، وحين يصبح الإعلام عاكسًا حقيقيًا للتنوع في الشارع السويدي، حينها فقط يمكن الحديث عن دمج حقيقي.

الطريق ما يزال طويلًا في السويد، لكن هناك علامات بسيطة جدا تُبشّر بأن الصورة يمكن أن تتغيّر، لا بالإجبار، بل بالحوار، والمشاركة، والتجرؤ على كسر القوالب

لماذا البقاء في السويد: قرار لا يولد من الرفاهية

ليس من السهل أن يقرر الإنسان البقاء في مكان يشعر فيه، أحيانًا، بأنه لا يُرى كاملًا. مكان قد يُعامله بقانون العدالة، لكنه لا يحتضنه بالدفء. ومع ذلك، يبقى المهاجر، يواصل العمل، يربّي أبناءه، ويحاول أن يزرع جذورًا جديدة فوق أرض مختلفة. فهل هذا مجرد تمسّك بالحياة؟ أم أن هناك ما هو أعمق من ذلك؟

وقد يقول لك أحدهم: لماذا لا تعود إن كنت متألمًا؟
لكن الجواب لا يُقال دائمًا بالكلمات
أحيانًا، يُقال بالوقوف كل صباح في محطة القطار، في الثامنة، في الصقيع، منتظرًا عملًا بدأ يحبه، أو دراسة وجد فيها نفسه، أو مستقبلًا يبنيه لأولاده

من يقرأ أو يسمع قصص المهاجرين في السويد، سيفهم أن البقاء لم يكن دائمًا قرارًا نابعًا من الراحة أو الامتياز، بل كثيرًا ما كان قرارًا إنسانيًا، واقعيًا، وعاطفيًا في آنٍ واحد

الرحيل ليس مجرد قرار، بل مسؤولية. لمن سيترك المهاجر حياته هنا بعد سنوات عديدة ؟ أين سيذهب؟
هل يعود إلى بلدٍ لم يعد كما كان؟ هل ينتقل إلى مكان آخر يبدأ فيه من الصفر مجددًا؟
أم يبقى في مكان عرف عيوبه ومحاسنه، وبدأ – رغم كل شيء – يفهم لغته وناسه وطريقة عيشه؟

البقاء يصبح أحيانًا قرارًا وجوديًا، لأنه يعني الحفاظ على ما بُني بجهد، ولو كان هشًّا أن تعود إلى وطنك وتفقد حقوقك، أو تُهاجر من جديد إلى بلد لا تعرفه، قد يكون أكثر خطورة من أن تبقى في بلد بدأت تفهمه، ولو على مضض

يقول الروائي الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز

الوطن ليس حيث وُلدت، بل حيث تُدرك أنك لست وحدك

وما إن يبدأ المهاجر في صناعة مجتمعه الصغير داخل السويد – سواء من خلال الجيران، زملاء العمل، أو الأصدقاء من نفس الخلفية – حتى يبدأ شيئًا فشيئًا يشعر بأنه ليس (ضيفًا) بل إنسان يملك حق البقاء، والحلم، والتعبير.

في السويد، لا أحد يصنع لك المعنى جاهزًا. لا توجد أعياد عامة تحتفل بطقوسك، ولا جموع تفرح لأيامك الخاصة. لكنك، حين تصنع كل هذا بإرادتك، فأنت لا تندمج فقط، بل تخلق وطنًا صغيرًا من داخلك

كتب الشاعر الفلسطيني محمود *درويش*

هنا، عند مُنْحَدَراتِ التلال، أمام الغروبِ وفُوَّهةِ الوقتِ نُفعلُ ما يفعلُ السُجَناءُوما يفعلُ العاطلونَ عن العملِ نُربّي الأملْ

وهو تمامًا ما يفعله المهاجر في السويد،

يربّي الأمل ،
يُدرّب قلبه على الاحتمال،
يتعلم أن الصبر ليس فقط فضيلة، بل وسيلة للبقاء،

في أروقة مصلحة الضرائب، وفي صفوف تعلم اللغة، وفي الانتظار الطويل للحصول على عمل أو شقة، وفي النظرات التي لا تقول شيئًا لكنها تعني الكثير... هناك حيث يُختبر الإيمان بالجدوى

لكنك حين تسمع طفلك يقرأ أول جملة سويدية بطلاقة، أو ترى زوجتك تعود من عملها بابتسامة، أو تشتري أول قطعة أثاث بشقّ تعبك... تدرك أنك لم تضيع، بل بدأت تتجذر، لأن الإنسان يتعلم أن يبني البيت حيث يستطيع، لا حيث يريد.

الحنين لا ينتهي، حتى بعد سنوات من الغربة. لكن في مرحلة ما، يدرك الإنسان أنه لا يمكنه أن يعيش فقط على الذكريات،في السويد، يتعلم المهاجر كيف يبني حياة من جديد:

بيت صغير في حي هادئ، وظيفة مستقرة، أصدقاء من ثقافات مختلفة، ومجتمع يبدأ تدريجيًا في تقبله

البقاء يصبح اختيارًا واقعيًا حين يرى الإنسان أن الرحيل ليس مجرد حركة جسدية، بل انهيار منظومة كاملة من الاستقرار. كثير من المهاجرين حاولوا العودة إلى أوطانهم بعد سنوات من الغربة، لكنهم وجدوا أنفسهم غرباء في المكان الذي كان يومًا وطنًا

الغربة ليست فقط في المكان، بل في الإحساس. وإذا استطاع المهاجر أن يشعر بالأمان في السويد، وإن كان مؤقتًا، فهو يتمسك به حتى آخر رمق

لأن الهوية ليست ثابتة... بل تتشكل

البقاء في السويد لا يعني التخلي عن الهوية الأصلية، بل يعني التفاوض معها، إعادة تعريفها، وإعادة تشكيلها بما يسمح بالحياة ،اللغة الجديدة لا تمحو اللغة الأم، والثقافة الجديدة لا تُلغي العادات، بل تضيف لها طبقة أخرى من الفهم والتنوع كثير من المهاجرين أصبحوا قادرين على الحديث بلغة مزدوجة: لغة يفهم بها نفسه، ولغة يتعامل بها مع العالم وهذا التوازن، الصعب لكنه ضروري، يجعل من البقاء خيارًا منطقيًا

السويد لا تُشترط عليك أن تتخلى عن دينك، أو اسمك، أو طقوسك – وإن كانت الظروف أحيانًا تضغط في هذا الاتجاه ولا نعلم ماذا يحدث مستقبلا– لكنها تفتح المجال أمام من يثبت نفسه أن يكون جزءًا من هذا المجتمع ، وهناك من نجحوا، من النساء والرجال، في أن يجمعوا بين ثقافتهم الأصلية والمجتمع الجديد دون أن يخسروا أنفسهم في الطريق

لأن المستقبل هنا، لا في مكان آخر

قد يتألم الإنسان حين يبتعد عن وطنه، لكنه يتألم أكثر حين يرى أطفاله يكبرون بلا أفق ، السويد، رغم التحديات، تفتح أمام الجيل الجديد أبوابًا لا تُفتح في أماكن أخرى ،تعليم عالي الجودة، فرص لتعلّم المهارات، دعم نفسي واجتماعي، وحرية في اختيار مسار الحياة

،الآباء والأمهات من الجيل الأول يعرفون أن حياتهم قد تكون صعبة هنا، لكنهم يراهنون على أن حياة أبنائهم ستكون أفضل

يقول أحد الاباء

أنا لست هنا من أجلي... أنا هنا من أجل ابني. ليكن لي نصيبي من الغربة، وليكن له نصيبه من الأمل

الثقافة أم الهوية: من يملك تعريف "السويدية"؟

حين يصل المهاجر إلى السويد، لا يواجه فقط طقسًا مختلفًا، ولا لغة جديدة، بل يلتقي بهوية جماعية مشبعة بالرموز والتقاليد والقيم التي لا تُقال أحيانًا، بل تُفترض، ومن هنا تبدأ إحدى أكثر الأسئلة تعقيدًا في التجربة المهاجرة: ما معنى أن تكون سويديًا؟ ومن له الحق في تعريف هذا المعنى؟

السويد، دولة تتغنّى بالتعددية والانفتاح، وفي الوقت نفسه، تحتفظ بصورة غير معلنة عن (السويدية النموذجية). هذه الصورة ليست مكتوبة في دستور ولا معلقة في الشوارع، لكنها تعيش في الوعي المجتمعي: ملامح هادئة، سلوك متزن، لهجة معينة، عادات مرتبطة بالقهوة، الطقس، وطريقة العيش. كل من يخرج عن هذه الصورة، يُشعر أحيانًا – وإن بصمت – أنه ليس كامل السويدية.

هذا الشعور لا يأتي عبر المواجهة المباشرة، بل عبر التفاصيل: نظرة استغراب عند استخدام لهجة أجنبية، صمت محرج حين يُذكر مثلا شهر رمضان في اجتماع عمل، سؤال متكرر: "من أين أنت في الأصل؟" حتى بعد عقود من الإقامة أو حتى الولادة في البلد

السويدية كهوية، هل هي جنسية مكتسبة أم أسلوب حياة

من جهة المهاجر، تأتي الحيرة، هو لا يريد بالضرورة أن يتخلى عن ثقافته الأصلية، لكنه يشعر أحيانًا أنه لا يُعامل كمواطن حقيقي ما لم يُمسك فنجان القهوة الساعة 3 بعد الظهر، ويبتسم بأدب لكنه لا يضحك بصوت عالٍ، ويفكر بطريقة منضبطة لا تُظهر انفعالًا

وفي محاولة إثبات الانتماء، يبدأ البعض في تقليد (السويدية)، ظنًا منه أن ذلك يُقربه من القبول. لكن المشكلة أن هذه المحاكاة قد تُنتج اغترابًا مزدوجًا: عن الذات الأصلية، وعن مجتمع لا يعترف بالجهد المكرر

من الذي يُقرر ما هي السويدية؟

هل هو الإعلام؟ المدرسة؟ الأحزاب السياسية؟ أم هو المزاج العام؟

هل تعني السويدية أن تأكل "سيل" (السمك المخمّر)، أن تحتفل بعيد منتصف الصيف، أن تضع زهرة على قبر قريبك في أول نوفمبر، وأن تؤمن بأن كل شيء يجب أن يُدار بالتوافق؟

هناك من يرى أن السويدية هي في احترام القوانين، المساواة، حماية البيئة، وقبول الآخر. وهناك من يراها كهوية قومية ناعمة، لكنها مغلقة دون أن تقول ذلك بوضوح. وهنا تقع المفارقة،في بعض الأحيان، يشعر المهاجر أن عليه أن يشرح نفسه باستمرار، أن يُثبت نواياه، أن يُظهر أنه (ليس كما يُشاع) ، ولعل المعضلة الكبرى تظهر عند الجيل الثاني والثالث، من وُلدوا هنا، ودرسوا هنا، ويحملون اسمًا سويديًا أحيانًا، لكنهم لا يُعتبرون كذلك في عيون كثيرين

فتاة مسلمة محجبة، مولودة في يوتوبوري، تدرس الطب وتعمل في المستشفى، تسمع في قاعة الانتظار أن (المحجبات لسن من هنا)، شاب يتحدث السويدية بطلاقة، ويحمل أفكارًا ليبرالية، يُسأل كل مرة - من أين أتى والداك؟ هنا، تُختزل الهوية في المظهر، في الاسم، في الذاكرة الجماعية التي لا تزال تربط (السويدية) بالعرق الأبيض، وبالخلفية اللوثرية، وبسرديات الشتاء الطويل والبيت الخشبي

هل يعني ذلك أن المهاجر يجب أن يتخلى عن ذاته ليُقبل؟ أم أن السويد بحاجة إلى إعادة تعريف هويتها بشكل يعكس واقعها المتغيّر؟

في الحقيقة، السويد – كغيرها من المجتمعات الأوروبية – تجد نفسها اليوم في مواجهة مفصلية، المجتمع لم يعد كما كان، والمدارس لا تضم تلاميذ من خلفية واحدة، والمكتبات صارت تعرض كتبًا بلغات عدة،الشوارع تشهد احتفالات دينية جديدة، وأطباق جديدة، وأعياد لا تتبع التقويم البروتستانتي

لكن رغم هذا، لا يزال هناك من يُريد تعريف (السويدية) بصيغة جامدة، تُقصي كل ما هو مختلف، بدل أن تدمج، وتوسع، في المقابل، هناك جهد مضاد: أصوات سويدية نزيهة، تؤمن بأن الهوية الوطنية ليست صندوقًا مغلقًا، بل مساحة متجددة. مفكرون وأكاديميون ومواطنون يكتبون ويؤكدون أن السويد الجديدة يجب أن تكون (بيتًا للجميع)، دون أن تُضحي بقيمها الأساسية، لكن دون أن تُفرغ الآخرين من ذاتهم ،حتى في الفن والثقافة، بدأنا نرى إعادة تشكيل للهُوية السويدية، هناك موسيقيون من أصول شرقية يمزجون بين اللحن الشعبي السويدي والمقامات العربية، هناك روايات تتحدث عن تجارب الهجرة كجزء من القصة الوطنية، لا كهوامش

ما يُعزز الأمل هو أن السويد ليست دولة قمعية، بل ديمقراطية حقيقية، تعترف بالتعدد، حتى إن لم تحسم موقفها منه دائمًا. التحدي الأكبر الآن هو الانتقال من الاعتراف بالتعدد، إلى قبوله، إلى احتضانه، إلى إعادة تعريف (السويدية) لتكون شاملة، لا انتقائية.

أن تكون سويديًا في 2025، لا يجب أن يعني أنك ولدت في مزرعة بجوار بحيرة، وتشرب القهوة دون سكر، بل يمكن أن يعني أنك تؤمن بالقانون، وتحترم الآخر، وتسهم في المجتمع، حتى لو كنت تتحدث مع أولادك بالعربية في البيت

الهوية ليست معركة صفرية. لا يجب على أحد أن يخسر كي يفوز الآخر. بل يمكن أن تكون الهوية مثل النهر، تتغيّر مجراه، لكنها لا تفقد طبيعته

يبقى السؤال مفتوحًا: من يملك تعريف السويدية؟
ربما الجواب الأكثر صدقًا: لا أحد يملكها وحده
هي تُصاغ يوميًا، من الملايين الذين يعيشون على هذه الأرض، من كل من ينهض كل صباح ليذهب إلى عمله، أو يُربّي أبناءه، أو يبتسم لجاره، أو يُسهم في بناء مجتمع يتسع للجميع ويحترم القانون المبني على اساس صحيح

تجارب اجتماعية

نقدم مجموعة من التجارب الاجتماعية التي قمنا بها على أرض الواقع من خلال التواصل مع مؤسسات مختلفة داخل السويد، بهدف تسليط الضوء على الفوارق في المعاملة بين المواطن السويدي الأصلي والمهاجر، لم تكن هذه التجارب نظرية أو مبنية على فرضيات، بل ملاحظات حقيقية، ومتكررة، تكشف عن جوانب خفية من التمييز في الحياة اليومية. من المتاجر إلى صالات التدريب، ومن الدوائر الحكومية إلى البنوك، لاحظنا أن المظهر، اللهجة، أو الخلفية الثقافية قد تؤثر بشكل كبير في جودة التعامل، مما يطرح تساؤلات حول مدى تقبل المجتمع للاخر

التجربة الأولى: في المتجر – التمييز في خدمة ما بعد البيع

في أحد الأيام، قررت أن أشتري قطعة ملابس من متجر سويدي معروف، وكان المتجر مزدحمًا ومليئًا بالزبائن. بعد عودتي إلى المنزل، اكتشفت أن القطعة لا تناسبني، فقررت إرجاعها في اليوم التالي، مستفيدًا من قانون المستهلك الذي يسمح بإرجاع المشتريات خلال فترة معينة. لم أكن أتوقع أن هذه الخطوة البسيطة ستكشف لي جانبًا من التمييز الخفي الذي يعاني منه المهاجرون في السويد

عند دخولي المتجر، وقفت في طابور خدمة الزبائن. أمامي كانت سيدة سويدية المظهر — شعر أشقر، لهجة سويدية سلسة، وملابس تقليدية أنيقة — تقوم بإرجاع منتج. لم يستغرق الأمر معها سوى لحظات قليلة، حيث اكتفت الموظفة بالنظر السريع إلى البضاعة ثم قامت بإرجاع المبلغ دون أي استفسارات

حين جاء دوري، بدأت ألاحظ اختلافًا في طريقة التعامل. على الرغم من أنني قدمت نفس نوع الطلب، وهو إرجاع منتج خلال المدة القانونية، إلا أن الموظفة بدأت بسيل من الأسئلة: (لماذا تريد إرجاع هذا المنتج؟ هل استخدمته؟ هل لديك الفاتورة؟ هل يمكنك الانتظار قليلاً لفحصه؟). ثم قامت بفحص المنتج بعناية زائدة، وفتشته من كل زاوية

وكأنها تبحث عن حجة لرفض الإرجاع. شعرت بأنني موضع شك، فقط لأن ملامحي ولهجتي لا تشبه تلك السيدة السويدية التي سبقتني

لم تكن هذه الحادثة فريدة من نوعها. بل لاحظت هذا النمط يتكرر في متاجر مختلفة، وفي مناسبات عديدة. حتى أنني بدأت أراقب بعناية: كلما وقف شخص بمظهر سويدي في طابور الإرجاع، كان التعامل معه أسرع وأسلس، بينما يتم التدقيق والتمحيص مع الأشخاص ذوي البشرة الداكنة أو من يتحدثون بلكنة أجنبية

المؤلم أن هذا التمييز يتم بطريقة ناعمة وغير مباشرة. لا يُقال لك صراحةً أنك "مختلف"، ولكن تُعامَل بطريقة توحي بذلك. كأنك دائمًا بحاجة إلى إثبات أنك صادق، أنك لست محتالًا، أنك لا تستغل القانون

هذا النوع من المعاملة يُشعِر الإنسان بالغربة، وكأنك مهما تعلمت اللغة، وارتديت ما يرتديه الآخرون، وسرت على القوانين بدقة، ستبقى دومًا (الآخر) في نظر البعض. وقد أكدت تقارير إعلامية سويدية بالفعل وجود هذا التمييز غير المعلن في المتاجر، مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست خيالًا أو شعورًا مبالغًا فيه، بل واقعًا ملموسًا يعاني منه الكثيرون يوميًا

التجربة الثانية: في صالة الألعاب – التمييز في التدريب الرياضي

الرياضة من الأنشطة التي يُفترض أنها تُعزز المساواة وتكسر الحواجز الاجتماعية، ولكن حين تنغرس التفرقة في أبسط تفاصيل الحياة اليومية، حتى الملاعب والصالات الرياضية لا تسلم من هذا التمييز الخفي. تجربتي في صالة التدريب، وبالتحديد في نادي تدريب التنس، كشفت لي أن فكرة (نحن) و(هم) لا تزال حاضرة، حتى عندما يكون الهدف المعلن هو التنمية البدنية والترفيه

التحقت سجى بأحد الأندية الرياضية المحلية في مدينة سويدية معروفة بانفتاحها وتنوعها السكاني، في البداية، بدا كل شيء طبيعيًا، ولكن مع مرور الوقت، بدأت تلاحظ نمطًا يتكرر

بشكل يدعو للتأمل، كان هناك تقسيم غير معلن بين اللاعبين: مجموعة من الأطفال والشباب السويديين الأصل، ومجموعة أخرى من المهاجرين. ورغم أن الجميع يدفع نفس الاشتراك، إلا أن الفروقات في المعاملة كانت واضحة جدًا

أول ما لاحظته هو توقيت الحصص التدريبية، السويديون دائمًا يحصلون على الأوقات الأفضل: مساءً بعد الدوام، أو في عطلة نهاية الأسبوع. أما المهاجرون، فيُعطَون أوقاتًا أقل تفضيلاً، كالصباح الباكر أو في منتصف الأسبوع، حيث يكون من الصعب على الطلاب أو العاملين الالتزام ،الأمر لم يتوقف عند ذلك. أثناء التدريب، لاحظت اختلافًا في جودة التعليم والاهتمام. المدربون كانوا أكثر تفاعلًا وحماسًا مع السويديين، يشرحون لهم التفاصيل، يصححون لهم الأخطاء بلطف، ويشجعونهم باستمرار. أما مع المهاجرين، فغالبًا ما يقتصر التدريب على التوجيهات الأساسية دون تفاعل شخصي، وكأنهم يؤدون واجبًا لا أكثر

وما زاد من الشعور بالتمييز هو التعامل مع الغيابات ، في حالات الغياب، كان يُعطى السويديون فرصًا لتعويض الحصص، بينما يُقال للمهاجرين "هذه هي القوانين، لا يمكن تعويض الحصة". وكأن القوانين مرنة للبعض، وصارمة على آخرين

رغم أن الابتسامة لا تفارق وجوه الموظفين والمدربين، ورغم أن كل شيء يبدو حضاريًا من الخارج، إلا أن الإحساس بالغبن لا يمكن تجاهله. أنت تشعر فعليًا أنك لست جزءًا من الفريق. هناك دائمًا شعور خفي بأنك (ضيف)، ولست (أصليًا)، حتى لو ولدت في هذا البلد أو عشت فيه لسنوات

مثل هذه التجربة تترك أثرًا عميقًا في النفس، خصوصًا لدى الأطفال والمراهقين. فهي تُغرس فيهم فكرة أنهم أقل شأنًا، وأنهم مهما حاولوا، سيظلون خارج (الدائرة)، يُنظر إليهم كغرباء، ليس لأنهم لا (يجيدون اللعبة، بل لأنهم لا يحملون الاسم أو اللون أو اللهجةالصحيحة)

التجربة الثالثة: في دوائر الدولة – التفاوت في تقديم الخدمات

تُعرف السويد بأنها من أكثر الدول تقدمًا في الخدمات الإلكترونية، حيث تُدار معظم المعاملات عبر الإنترنت أو الهاتف، مما يُسهل الحياة ويوفر الوقت. لكن ما لا يظهر في هذه الصورة الوردية هو أن جودة الخدمة يمكن أن تتفاوت بشكل كبير حسب من يكون المتصل، وكيف يتحدث، وبأي لهجة ينطق

في أحد المرات، كنت بحاجة للتواصل مع إحدى الدوائر الحكومية لإنهاء معاملة تتعلق بالضرائب. قمتُ بالاتصال بالمركز الخاص بخدمة العملاء، وبمجرد أن بدأت بالتحدث، لاحظت تغير نبرة الموظف في الطرف الآخر. كنت أتكلم السويدية، لكن بلكنة أجنبية واضحة، وكنت أبحث عن الكلمات أحيانًا. الموظف لم يكن عدائيًا، لكنه بدا وكأنه لا يريد الاستمرار في المكالمة. أجاب باختصار، طلب مني أن أعود إلى الموقع الإلكتروني، وأن كل المعلومات موجودة هناك. أنهى المكالمة بسرعة

لأتأكد من شكوكي، طلبت من صديق سويدي أن يتصل لاحقًا لنفس السبب، مستخدمًا نفس التفاصيل. الفرق كان مذهلًا: الموظف رحب به بحرارة، وشرح له كل التفاصيل خطوة بخطوة، بل وأرسل له تعليمات مفصلة بالبريد الإلكتروني للمساعدة. نفس الخدمة، نفس المركز، لكن النتائج مختلفة.

هذه ليست حادثة فردية ،تكررت معي ومع أصدقاء مهاجرين في تعاملنا مع دوائر مختلفة: مكتب الضرائب، مصلحة التأمينات، مصلحة الهجرة، والمجالس البلدية، كلما كنت أكثر طلاقة في اللغة السويدية، خاصة إذا نطقتها بلكنة (محلية)، كلما زادت فرصك بالحصول على خدمة محترمة وسريعة. أما إذا كنت تتحدث ببطء، أو بلكنة أجنبية، فغالبًا ما يُفترض أنك لا تفهم، أو يتم إحالتك لمصادر إلكترونية دون دعم بشري حقيقي.

المشكلة ليست فقط في اللكنة، بل في الاستعداد المسبق للتعامل مع (الآخر) كعبء أو استثناء، الموظفون لا يقولون لك (أنت مهاجر، لذا لن أساعدك)، لكنك تشعر أن صبرهم أقل، واستعدادهم لخدمتك محدود، وكأنك تطلب ما هو ليس من حقك.

وهذا التفاوت لا يظهر فقط في المكالمات الهاتفية، بل حتى عند زيارة الدوائر شخصيًا، من يتحدث السويدية بطلاقة يحصل على اهتمام فوري، أما الآخرون، فيُطلب منهم الانتظار، أو يُحالون إلى موظف (يتحدث الإنجليزية) – حتى إن كانوا قادرين على التفاهم بالسويدية، وكأن وجودك يُربك النظام، ولا يتماشى مع النموذج المثالي للمواطن

كل هذه التفاصيل الصغيرة، حين تتكرر يوميًا، تخلق شعورًا بالإقصاء. تجعلك تُدرك أن الحصول على الحقوق لا يتوقف فقط على القوانين، بل على نظرة الموظف إليك، وعلى مقدار (انتمائك) المفترض للمجتمع

التجربة الرابعة: في البنوك – تمييز غير معلن في المعاملات المالية

تُعد البنوك من أبرز رموز الحياة الحديثة، فهي ليست فقط أماكن لحفظ المال، بل مؤسسات يُفترض أن تبنى على الشفافية والمساواة في تقديم الخدمات. لكن الواقع يكشف أن حتى هذه المؤسسات التي يُفترض أن تتعامل بالأرقام والوثائق فقط، قد تتأثر بالنظرة المجتمعية والانحيازات الخفية.

في إحدى المرات، قررت التقديم على قرض سكني، قمت بجمع كل الوثائق المطلوبة: عقد العمل، إثبات الدخل، تاريخ الائتمان، وكل ما يلزم. حجزت موعدًا في البنك، وذهبت بكل ثقة! لكن ما واجهته داخل الغرفة الزجاجية لم يكن كما توقعت ،منذ اللحظة الأولى، شعرت أن الموظف لا يتعامل معي بنفس الارتياح والانفتاح الذي لاحظته مع آخرين

بدأ بطرح أسئلة لا أعتقد أنه من المعتاد أن تُطرح بهذا التفصيل: (منذ متى تعمل في هذا المجال؟ هل تفكر بالعودة إلى بلدك؟ هل تخطط للاستقرار طويلًا في السويد؟)، وحتى

سألني إن كنت قد حصلت على قروض من قبل في بلدي الأم؟ الأسئلة كانت تُطرح بنبرة مهذبة، لكنها تحمل في طياتها شكًا ضمنيًا في قدرتي على الالتزام والدفع.

لاحقًا، حين تحدثت مع زميل سويدي قدم على قرض مشابه، وجدت أن تجربته كانت مختلفة تمامًا. لم يُسأل عن خططه المستقبلية، ولا عن ماضيه المالي خارج السويد، بل تم التعامل مع طلبه بسلاسة، وبتقدير كبير للثقة المتبادلة. نفس نوع القرض، نفس حجم الدخل تقريبًا، لكن التقييم كان مختلفًا.

هذا التمييز لم يكن مقتصرًا على بنك واحد فقط ، مررت بتجارب مشابهة في مؤسسات مالية أخرى. لاحظت أن الأشخاص الذين تبدو عليهم ملامح (المواطن السويدي) – من حيث الشكل، واللغة، والاسم – يُعاملون وكأنهم زبائن موثوقون تلقائيًا، بينما يُطلب من المهاجرين إثبات أهليتهم مرارًا وتكرارًا

المشكلة لا تكمن فقط في الشعور بالإهانة أو التمييز، بل في التأثير العملي لذلك، فالحصول على قرض قد يتأخر، أو يُرفض، بناءً على تقييم شخصي غير معلن، وقد يُحرم المهاجر من فرص كبيرة فقط لأنه لم يُمنح نفس (الثقة المسبقة) التي تُمنح لغيره

وهنا تظهر إحدى أخطر صور التمييز: التمييز غير المباشر، الذي لا يُكتب في الأوراق، ولا يُقال صراحةً، ولكنه حاضر بقوة في القرارات المصيرية. التمييز الذي يُمارس بابتسامة، لكنه يترك في النفس ندبة عميقة، لأنه يهمّشك دون أن يمنحك فرصة حقيقية للدفاع عن نفسك أو إثبات جدارتك

في النهاية، يُفترض أن المؤسسات المالية تعتمد على الأرقام والمنطق، لكن هذه التجارب تثبت أن(الخلفية الثقافية والهوية ما زالت تلعب دورًا خفيًا في معادلات الجدارة)

بالاعتماد على كل ما ورد أعلاه من مواضيع تتعلق بالمهاجرين في السويد، ،يمكن أن يُلاحظ خيط رفيع لكنه واضح يتكرّر عبر أكثر من مستوى وهو محاولة زرع الخوف في وعي

المهاجر، بشكل مباشر أو غير مباشر، لدفعه إلى مغادرة السويد، أو على الأقل للانسحاب من الحيز العام

ليس الأمر دائمًا مؤامرة معلنة، لكنه يأتي أحيانًا من خلال تراكم الرسائل، والقرارات، والخطابات، والتجارب اليومية التي تشي بأن المهاجر "ضيف غير مرغوب فيه بالكامل". من القوانين التي تتعقّد عامًا بعد عام، إلى التشديد على شروط الإقامة الدائمة، إلى ربط كل نقاش سياسي بالاندماج والجريمة، يترسخ في ذهن المهاجر أنه تحت المجهر، وأنه في امتحان دائم يجب أن ينجح فيه ليبقى

رغم ذلك، هناك مقاومة صامتة من آلاف المهاجرين، الذين يواصلون حياتهم، ويزرعون المعنى، ويشاركون في السياسة والمجتمع، وكأنهم يقولون: "نحن هنا، وسنظل هنا، لأن الوطن ليس من يستضيفك، بل من تبنيه بيدك

حقائق وأرقام

في زمنٍ تتداخل فيه الحكايات الشخصية مع السياسات العامة، يصبح من الضروري أن نعود، بين حينٍ وآخر، إلى لغة الأرقام، تلك الأرقام التي لا تبكي ولا تفرح، لكنها تمتلك قدرة خارقة على إضاءة الزوايا المعتمة خلف الخطابات الكبرى والشعارات المنمقة ،ففي عالم تتنازع فيه الروايات حول من ينتمي ومن يُقصى، تظل الإحصائيات مرآة محايدة تكشف عن تحوّلات لا تُرى بالعين المجردة.

السكان والأصول الأجنبية

بحسب إحصاءات المكتب المركزي للإحصاء في السويد، بلغ عدد سكان السويد في نهاية عام 2024 ، حوالي 10.587.710 مليون شخص ، منهم حوالي 2.200.238 مليون شخص مولود خارج السويد ، بمعنى حوالي عشرون في المائة (20.8) في حين بلغ عدد الأشخاص من ذوي الخلفية الأجنبية (أي المولودين في الخارج أو أبناء المهاجرين) حوالي 2.910.877 شخص ، وهو ما يمثل 27.5 % من سكان السويد من جذور مهاجرة ، هذا يعني أن أكثر من ربع المجتمع السويدي اليوم يتكوّن من أفراد لهم جذور مهاجرة، مما يعكس تنوعا عميقًا في التكوين الديمغرافي والثقافي للبلاد.

هذا يعني ان قضية التنوع الثقافي والديمغرافي في السويد لم تعد مجرّد ملف سياسي يثير الجدل عند كل انتخابات، بل أصبحت واقعًا لا يمكن إنكاره، وحاجة بنيوية ملحّة لمجتمع يتقدّم في السن ويواجه تحديات ديموغرافية واقتصادية متزايدة ، ففي بلد يشهد تقلصًا تدريجيًا في نسبة المواليد، وارتفاعًا مطّردًا في عدد المسنين، يصبح المهاجرون وأبناءهم جزءًا من المعادلة الوجودية لمستقبل السويد، لا مجرّد أرقام على هامش الإحصاءات فالتنوع ليس عبئًا، بل موردًا، فحين تُمنح الفرصة للطاقات المهاجرة أن تندمج بكرامة، لا عبر الذوبان القسري بل من خلال شراكة متبادلة، يصبح بإمكان المجتمع أن يُعيد تعريف نفسه، ويجد في التعدد بوصلة للتجدد لا سببًا للخوف ، من المعلمين في المدارس، إلى الممرّضات في دور الرعاية، ومن سائقي الباصات إلى المهندسين في الشركات والاطباء في

المستشفيات، ساهم القادمون الجدد من ثقافات متعددة في البناء اليومي السويدي، وغالبًا في صمت لا تحتفي به عناوين الصحف.

لكن السويد لا تحتاج فقط إلى أيادٍ عاملة، بل إلى رؤى متعددة، وأسئلة جديدة، وتجارب إنسانية تُثري سرديتها، إنّ مجتمعًا متجانسًا من نفس العرق قد يشعر بالراحة، لكنه يخسر التنوع الذي يُنتج الإبداع، وفي زمن يزداد فيه العالم ترابطًا، يصبح الانغلاق ترفًا خطيرًا، والتعدد هو لغة البقاء.

إن الاعتراف بأهمية هذا التنوع لا يعني التغاضي عن التحديات المصاحبة له، بل يعني التعامل معها بمسؤولية وشجاعة ، فالمجتمعات لا تُبنى على الخوف من الآخر، بل على القدرة في تحويل هذا الآخر إلى شريك في الحاضر، وفاعل في المستقبل.

الخاتمة

اليوم، ننظر إلى الخلف وندرك أن الرحلة لم تكن مجرد انتقال جغرافي، بل كانت رحلة تطور ونضج. لقد تعلمنا الصبر، واكتسبنا مهارات جديدة، وأصبح لدينا منظور أوسع للحياة، ربما لم يكن كل شيء سهلًا، لكن في النهاية،هل كان الحلم يستحق العناء، هل منحنا الفرصة لإعادة بناء انفسنا وذاتنا أم العكس؟

القارئ غير المطلع، أو الحالم بالهجرة، قد يقع بسهولة في فخ (الصورة المضلّلة)، حيث يهيمن الإعلام الرقمي اليوم على عشرات الآلاف من (القصص الناجحة)، التي تُعاد صياغتها في مقاطع فيديو قصيرة وسريعة الانتشار، تتحدث عن (الحياة المذهلة في السويد)، و(كيف أصبحت مهاجرًا ناجحًا خلال ستة أشهر)، و(أرباح العمل في السويد)، و(أفضل مدن أوروبا للهجرة والعيش الكريم)، وهي بلا شك، قصص تحفّز وتثير الفضول، لكنها غالبًا ما تفتقد للسياق، وتُخفي خلفها العديد من التحديات والصراعات التي لا تُذكر، فيتخيل السويد على أنها الجنة الموعودة، حيث الأمان، والوظائف، والعدالة الاجتماعية، والتعليم المجاني، والطبيعة الخلابة، والحقيقة أن كثيرًا من هذه الأمور صحيحة، لكنها لا تُمنح دون مقابل

كل شيء في السويد يُنتزع بالجهد، والوقت، والصبر، والتعلم، والتكيّف مع نظام دقيق وصارم ، لذلك حاولنا هنا ببساطة إلى إظهار الوجه الآخر للصورة: وجه الحياة اليومية، قرارات البقاء، معارك الهوية، فجوات الفهم بين الثقافات، مشاعر الغربة، ومحاولات التوازن بين الانتماء للماضي والتكيف مع الحاضر ،واذا كانت السويد دولة تمنح كل فرد فرصة ليصنع مستقبله بنفسه فانة يبقى لكل مهاجر قصته الخاصة، وتجربته الفريدة، التي تشكل جزءًا من رحلته في الحياة فهي ليست خالية من العنصرية، ولا من العزلة، لكنها أيضًا ليست جحيمًا بعد خيبة التوقعات ،إنها مكان وسط، فيه نظام، وفيه برد، وفيه فرص، وفيه جدران ،يبقى فيها من يعرف كيف يتأقلم، من يحمل شيئًا من الصبر، ومن

يستطيع أن يصنع له مكانًا دون أن يفقد نفسه وذلك، في عالم مضطرب كعالمنا، ليس أمرًا بسيطًا، وتبقى الاجابة عن السوأل :هل كان الحلم يستحق العناء ؟متروكة لكل مهاجر

لقد كان هذا العمل توثيقًا لتجارب عايشناها أو شهدناها، ومحاولة لفهم رحلة المهاجر الشرق أوسطي، وخصوصًا العربي، في السويد — من لحظة الوصول الأولى، بكل ارتباكها وأسئلتها، إلى محطات استقرار الهوية والانتماء ، وكما في كل ما يتعلّق بالهجرة، لا يُروى هذا المسار في سطرٍ واحد، بل في التفاصيل الصغيرة واليومية التي يحاول هذا الكتاب أن ينقلها بصوتٍ هادئ وصادق

وحين نضع النقطة الأخيرة، لا ندّعي أننا بلغنا الكمال، بل نُقرّ، بكل تواضع، أن كل ما كُتب يمكن أن يُقال على نحوٍ أجمل، أو يُروى بترتيبٍ أبلغ، أو يُترك لصالح ما هو أصدق، وهذا ما عبّر عنه عماد الكُتّاب الأصفهاني، حين قال:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يوم إلا وقال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل استيلاء النقص على جملة البشر."

فما هذا الكتاب إلا محاولة أولى، لا نهائية، لفهم الحياة كما نحياها في السويد، لا كما تُصوَّر ..... وللحديث بقية